كلمات أخرى

في الرواية التي اكتبها عن سقوط الجليل ، والتي ما تزال تمتد وتغير ، أسجل فيما يلي مقاطع منها ، تصف بعض أنحاء الجليل ، — كما هي في الرواية — وفي اذهان النازحين .

★ ★ ★

● صفد

« يجيء طريق عكا مشرقا ثم يصعد الى الشمال لينصب انصبابا ، من هناك ، في صفد مشكلا نصف دائرة حول تلة مزروعة بالصخر والزعتر البري ، اذا قلنا ان مركز صفد هو القلعة التي تعلو هضبة عالية مهدمة الجوانب عتيقة متعبة فان ذلك يسهل تصور البلد ، فالى غرب هذه القلعة تقع حارة الاكراد ، منها الى الشرق تمتد حارة اليهود على سفحين ، والى جنوبها تقع حارة الوطا ، اما السوق فهو رقعة صغيرة تفوح برائحة طازجة تعبة تقع بين حارة الوطا وحارة اليهود وحارة القلعة حيث تتناثر البيوت كمحاولات لاهثة لارتقاء الهضبة التي تتوجها القلعة ذاتها بحجارتها الثقيلة المتناثرة ، وغرب القلعة تنبسط حارة الاكراد ببيوتها الحجرية المطلية بالكلس حيث تبدو ، اذا ما نظرت اليها من القلعة حمامة ناصعة البياض ذات جناحين مفروشين فوق بساط من الاخضرار الداكن .

من حجارة اقتلعت من مقالع الجرمق بنيت البيوت المتناثرة ذات القباب ، اهالي صفد يسمونه حجرمزيا ، وهو حجر قادر على الاحتفاظ بروحه الجبلية : وحشيا قاسيا صلبا ، سنة وراء الاخرى ، كانه ما يزال جزءا لم يقتلع بعد من جبله ، بوسعك دائما ان تحضر حجارة من الجبال وان تجعل منها جدرانا لبيوت عالية او واطئة ، فقيرة او غنية ، ولكن حجارة الجرمق هي الحجارة الوحيدة التي لا نستطيع ان تسلب منها روحها او تعطل انتسابها الى الجبل ، حتى اذا وضعتها في جدار مستقيم وانيق فانت لا تستطيع ان تمر بها دون ان تحس انك في جوار جبل مغلوب على امره ، مشتت ومحكوم ، ولكنه ما يزال يحمل حنينه الصارم للوعر ، ويفوح برائحة البرية كانه ما زال مغروسا في غابة من الزعتر » .

● طريق حيفا عكا :

« من حيفا ، الى الطريق المتعرج الذي يطوق الخليج كالعقد ، صعودا حيث يبقى الحبل مطموحا حائرا في عراكه الصامت مع الرياح القادمة من البحر ، فوق نهر النعمين الذي يصب حزينا متعبا ولكن نقيا في الموج الصاخب فيرده ، بهدوء عنيد ، الى الوراء ، ومن هناك تنسلق السيارة الطريق الى عكا ، الى المنشية ، الى السميرية الى المزرعة ، الى نهاريا لتنعطف شرقا وتغوص عبر عشرات من القرى ، ملقية طوال الطريق راكبا هنا وسلة هناك ورسالة الى رجل ينتظر وزوجا لامرأة لم تستطع ان تنتظر .

عكا امام الشبابيك ، المقبرة اولا الى يمين الطريق مع المنعطف ثم محطة الى اليسار ، وتمضي قربا بعد ، البيوت المبنية بالحجر القدسي المائرخ ، مثل الرغيف ، ووراءها حدود الحنيطة العامة تصفر فيها اشجار الكينيا العالية ، ومن بعيد ابدو قدم السور وابراجه من حجر بني ، أطلت الاعشاب الخضراء من شقوقه ، والى اليمين كانت بيوت جديدة ، صغيرة ومزروعة مع ورد عثلي غزير ، تتلاحق صفا وراء صف ، وفي الافق كان تل الفخار وفوقا يقتله المسطحة ، رسمته النسائم

المزروع بقبور جنود لم يورثهم عنادهم الا الموت دون ان يروا ابعد من السور ثم الى اليسار ، مبنى الصحية الحجري وسلسلة (طرائف) التي لا تنام وهي ترفع صفوفا من الدواليب ترتفع كالبراميل امام بواباتها الملطخة بالشحم وسيارات محطمة تتسلقها النباتات البرية بانتظار ان تصلح او ان تنوزن او ان ياكلها الصدا » .

● فلسطين .. قبل الحرب

« وكانت غرفة احسان صغيرة فيها سرير ومكتب وسجادة حمراء وخزانة وبدت تلك اللحظة اكثر الفة ، واصغر من المعتاد ، وكان هو يعرف ان كل الغرف في كل مكان تبدو اكثر الفة واصغر من المعتاد حين يعتزم اصحابها مغادرتها ، وربما الى غير رجعة .

وحين انسل من الباب بهدوء ، مع حقيبته الصغيرة ، بدت الامور اكثر وضوحا مما كانت طوال الشهر الماضي وعاد يتصور فلسطين ، كلمة ذات صوت ، مملوءة بالنداء ، تجوب الارض كارثة لم يؤخذ بثار رجلها ، ذات نظرات صارمة لا تقاوم ، محمولة على اكف الرجال والريح والرعد والزيتون .

في الشهر الماضي ، في كل ساعة من الشهر الماضي ، سمعها تلح عليه كحلم ممزق ترفه عاصفة عاتية ، وعرف اخبارها وهي تمضي من افق الى افق ، تقرع بساريتها المضرجة ابوابا خشبية مغلقة في دمشق ، في حماه ، في صنعاء ، وتنتزع الرجال من فراش زوجاتهم ، والفتية من مدارسهم ، وتدوي في اذان شيوخ في جوامع بعيدة ، واكف رجال يقطفون الكروم ، وتلتمع امامهم ، كلمة ذات صوت ، مثل نجم المجوس ، فالتحقوا بها دون سؤال . »

● حيفا

« واخذ يراقب طرق الطريق حيث كف المارة عن العبور ، ومن جهة الشرق جاءته اصوات انفجارات متتابعة وطلقات ثم التمعت في السماء بروق اعقبتها انفجارات اشد ، وقال في نفسه ، « انهم يقصفون وادي النسناس الان » ولكنه لم يعرف من اي جهة يحدث القصف ، لمن الممكن ان يقصف وادي النسناس من اخر شارع الكرمل ، ومن الممكن ايضا قصفه من الناحية المقابلة ، ناحية المركز التجاري

وحين عجز عن متابعة الموضوع من الذاكرة اتكأ على الطاولة واخذ يرسم المناطق الرئيسية في حيفا على ظهر علبة الدخان : لقد بدا يرسم مرتفعات الكرمل والخليج الذي يواجهها ، شرقي الكرمل ، في المسافة الممتدة بينه وبين المرفا يتمركز اليهود في الهادار وفي اواخر شارع هرتزل .. وفي نهاية المدينة ، في الاسفل ، رسم المركز التجاري الذي يقع بين شارع الملوك وشارع النبي ، ومن الشرق تمتد الاحياء العربية ، الحليصة ، ووادي رشميا ، والبرج ، ثم تاتي المدينة القديمة ، ووادي النسناس ، وحي عباس ، وحي الزيتون ، ومحطة الكرمل .. الى شارع يافا . »

غسان كنفاني

شريط الجمال والدم



معالم الجليل ، في شريط من الجمال ، يبعث صورة صلبة لذكريات لم تخمد ابدا .

ان روعة الطبيعة في الجليل ما تزال ملتصقة في صدور الناس الذين اجبروا ، في ظروف لم تعرفها المنطقة في تاريخها الحلو والمر .

في الصورة الاولى يبدو الجمال الخارق لوادي جرزيل ، حيث تسجل الطبيعة تفوقا لا يصدق على نفسها فتطبع تلك المنطقة المقدسة من الجليل بطابع اقرب الى الاحلام .

في الصورة الثانية يبدو الجدار القديم لبلدة طبريا وهو يمر نفسه في البحيرة : على هذا الجدار جرت المعارك الدامية ، ووراءه وامامه مات الطبارنة وهم يتمسكون باراضيهم شبرا شبرا

وفي الصورة الثالثة الجانب القديم من طبريا ، الذي يحمل وراء كل حبة تراب فيه قصصا من قصص الحياة التي عاشتها تلك البلدة الجميلة طوال قرون ، ثم من قصص الدماء التي دفعتها غالية .

الصورة الرابعة لصفد المدينة التي تشبه حمامة بيضاء ذات جناحين مفروشين ، حي الاكراد ، وحي القلعة ، والسوق ، وحي الوطا معالم لا يمكن نسيانها .

الصوره الخامسة لعكا : جامع الجزار كما يبدو من فوق السور ، وامامه الساحة ، وفي جدرانه ذكريات كل اولئك الطغاة الذين ظنوا ، كالسحاب ، ان بوسعهم البقاء ، الا انهم مضوا ، وظل جدار السور ، وجامع الجزار ، والسبيل وخان العواميد شواهد على الحق ، وعلى اننا ، بارادتنا وعملنا ، سنعود .

الى المحرر — ملحق فلسطين

بعد اطلاعي على الاعداد التي صدرت من مجلتكم « فلسطين » ، وشعوري بان هذا المشروع يجب ان يستمر ويتطور ، ومشاركة مني بالجهود التي تبذلونها لنشر وعي فلسطيني قائم على اسس علمية مدروسة فانني ارسل لكم مع هذا الشتراكي الرمزي راجيا اعتباره اسهاما في مشروعكم ومحاولة لدعمه ودفعه في طريق النمو والتطور .

طيه حوالة بمبلغ / [illegible] فقط / هو قيمة اشتراكي / الرمزي / الاشتراكي ، عن نصف سنة / سنة في فلسطين

ارجو ان استلم ما يشعرني بوصولها .

الاسم :   التوقيع

العنوان :

ملحق المحرر

الخميس [illegible] ١٩٦٩

فلسطين

فلسطين تحمل للعرب اول صوت عربي من داخل الارض المحتلة

■ «سمينا انفسنا الارض رمزا للتراث الذي تملكناه كعرب عبر الاجيال»

■ ..«ونحن نؤمن بأن العرب في اسرائيل هم جزء لا يتجزأ من الامة العربية»

■ **اذا كانت اسرائيل تعتقد انها ستخلق حالة استسلام بيننا فنحن نعلن لها ان هذا شيء لن يتحقق »**



الحل السياسي والحل السلمي



برهان الدجاني

تحدثنا في المقال السابق عن انواع الحلول التي تداولها العرب بشأن قضية فلسطين ، بشكل او بآخر ، بظرف او بآخر : الحلول التي فكرت بها دول عربية انفراديا ، او التي فكر بها العرب جماعيا . الحلول المتداولة قبل كارثة ١٩٤٨ ، وبعدها . كما بينا موقف عرب فلسطين الذي لم يتغير ، في جميع الظروف المتقلبة ، ومن هذه الحلول والمداولات ، هو موقف الرفض لوعد بلفور ، وكل ما نجم عنه ، ولفكرة وجود دولة صهيونية ذات سيادة على اي جزء من ارض فلسطين .

وما دمنا في صدد بحث قضية فلسطين اليوم ، لا في صدد تاريخ هذه القضية ، وما دام بحثنا في الاساس محاولا لا وصفيا ، وفي الجوهر متطلعا الى الامام .. لا ملتفتا الى الوراء ، فاننا لن نتناول الميكانيكيات العربية لمعالجة قضية فلسطين ، سواء في المجال العسكري او السياسي ، ولكننا اذ نستبقي هذا التاريخ في اذهاننا ننطلق من واقع اليوم : واقع الوجود العربي .. واقع الوجود الفلسطيني العربي ، واقع اسرائيل ، واقع العالم السياسي .. وواقع الاثر التقنولوجي على ميكانيكيات المعالجة لمختلف المشاكل والقضايا .

وقبل الدخول في الموضوع نحب ان نبين الامور التالية .

اولا — ان ميكانيكية اي حل هي الجزء الجوهري منه ، وليس التحديد النظري او الكلامي لاهداف الحل .

ثانيا — ان عدم وضوح هذه الحقيقة في الذهن العربي ، هي التي مكن في بعض الاحيان من المزايدة على القضية في الشق الاول : اي المزاودة بالاهداف وحدها دون اي ربط بينها وبين ميكانيكية التحقيق .

ولعل ابرز مثال على هذا القول موقف عبد الكريم قاسم الذي كان يتحدث عن استعادة فلسطين والقضاء على اسرائيل عبر عزلة عراق عهده ، وعبر حتى عدم وجود حدود بينها وبين اسرائيل ، وعبر عدم وجود اي امكان انفرادي له ، ضمن هذه العزلة وهذا البعد ، لتناول القضية باي شكل .

ان المزايدة بالكلام سهلة ولكن الصعب هو المزايدة في الامكان . واذا ما استقر في اذهاننا انه لا قيمة لكلام لا يرافقه امكان ، خصمنا ابتداء من باب المزايدات كل كلام بدون امكان ، واصبحت لدينا بعد ذلك فكرة واضحة عن حقيقة الساحة والاطراف الموجودين فيها .

ثالثا — ان عدم وضوح هذه الحقيقة — اي حقيقة لا حل بدون امكان — هي التي تجعل بعض الكتاب ينقدون باشياء يسمونها حلولا ، وهي تدخل في باب الاماني لا في باب الحلول . وهم يتوهمونها حلولا بالنسبة لاهدافها ، غير منتبهين لما يبدو الى حلقتها المفقودة — حلقة الميكانيكية او الامكان .

بعد ذلك نحب ان نبين ان الميكانيكية نفسها هي عبارة عن ثلاثة اشياء : استعداد قادر على تحريك القضية ، وهذا ما بيناه فيما سبق ، ورؤية في الربط ما بين هذا الاستعداد والقضية ، اي وضعه في متناول القضية ، ومن ثم عملية الربط هذه . هذه الاشياء الثلاثة تؤلف مجتمعة ميكانيكية الحل ، واذا انتفى اي منها اصبح الحل بدون ميكانيكية ، اي بدون امكانية للتحقق .

وبعد هذه المقدمة ، لنستعرض مختلف اساليب معالجة القضية ، على ضوء المقاييس التي بيناها .

اولا ، ما زال في الفكر العربي خط من الوهم — او خداع الذات التعويضي عن مرارة الهزيمة — بان قضية فلسطين قابلة لان تحل بمعجزة .

هذه المعجزة المنتظرة ، هي اضمحلال اسرائيل من الداخل ، اضمحلالها بصورة طبيعية ، سلميا ، كموت العجوز او المريض على الفراش . ومن ثم لا يبقى الا ان تؤلف لجنة بمنظمة الامم المتحدة ، مثلا ، لتعيد ، من بين مخلفات هذا المتوفي ، ما كان قد اغتصب من حقوق عرب فلسطين ، فتشرف على عودة اللاجئين بصورة هادئة ، وعلى استعادتهم املاكهم . وبطرفة عين يزول الكابوس ، ويأخذ الجو اتجاها من جديد ، وتصبح الايام القاسية التي مرت مجرد ذكرى .

ولا حاجة بنا لتناول هذا « الحل » بتحليل او تعليق ، سوى ما ذكرنا من انه يدخل في باب الاماني الكاذبة ، وخداع النفس ، وينتج عن نمط العقلية القديمة التي لم تستطع يوما ان تستوعب معنى اسرائيل ، ولا ان تتفهم جذور الصهيونية ، او العقلية العلمية التقنولوجية ، الاندفاعية ، اللااخلاقية ، التي تقف وراءها . هذه العقلية القديمة تجاه اسرائيل ما زالت موجودة بصور شتى في بعض مجالات الذهن العربي ، فمن مظاهرها مثلا تضخيم المشاكل اليومية لاسرائيل — مشكلة ميزان المدفوعات ، او البطالة ، او التضخم او الاضطراب الاجتماعي الناجم عن تلاطم العناصر المتنوعة — والتوهم العجيب بانها تدل على ان اسرائيل سائرة في طريق الاضمحلال . ومن مظاهرها ايضا تضخيم اثر الدعاية ، ومنها اخيرا ما اشرنا اليه مما يسمى حلولا قائمة على اساس هذه الانحرافات .

لحسن الحظ فان هذا الخط ضئيل شأنا في الذهنية العربية الحالية ، وما كان من قبل .

ثانيا — ان التحول الى شيء « الميكانيكية » من الحل لم يتم الا بتدرج طويل مر ، عبر ارض وعرة ، رادتها الجمهورية العربية المتحدة ، ومشاركة شاملة قادتها ، وما اكتنف الريادة ، ولا الدخول في المعارك ، الا بفضل البصيرة النافذة التي يتحلى بها الرئيس عبد الناصر والتي مكنته من ان يكتشف ان قضية فلسطين هي اولا « استعداد » ، وان مدى هذا الاستعداد بكامل ابعاده .. وبجميع مجالاته الصحيحة وبالجها ، فاذا كانت معطياتنا — كما بينا من قبل — ان الاستعداد موجود ، وان الموضوع هو موضوع الربط بينه وبين القضية ، كان السؤال هو : كيف تم هذا الربط ؟

لا بد للاجابة على هذا السؤال من اعتبار الامور التالية .

اولا — المناخ المحلي — وهذا يتألف من عدة فروع : حجم القوى العربية المساهمة في تحمل القضية — وفي اثناء المعركة ، حجم القوى العربية الاضافية او المكملة ، ومدى ضرورتها للمعركة ، ومدى استعدادها لخوضها .

ان الجواب الصحيح على هذه الاسئلة في رأينا ، التالي : الى ان تقوم الدولة العربية الواحدة ، فان قوة العرب الفعالة المحركة تبقى في مصر دون الجمهورية العربية المتحدة .. هذه هي القوة ، ودورها دعم كل اضافة [illegible] قدرتها .

ومن هنا يقع على عاتق الجمهورية العربية المتحدة مسؤولية جمع اقصى ما يمكن من القوى وتحريكها ، ولا شك في انها منذ عام ١٩٥٦ مارست بالتجربة والخطأ ، طرقها لذلك .

واخر التجارب على هذا الصعيد تجربتان : اولاهما الاتحاد الثلاثي المشترك مع العراق مع [illegible] وحدة دستورية من الجمهورية العربية المتحدة والعراق ، [illegible] مع عدم اعتبار اي من الاطماع [illegible] .. ومن اهم ما يتصل به هذا المناخ ايضا الطاقات الاقتصادية والعسكرية الموفورة للمعركة ، واثر الجبهات الداخلية وتحركاتها على المعركة .

الجانب الآخر من المناخ المحلي هو قوة اسرائيل نفسها ومدى قدرتها على مجابهة العرب ، بمحاولة التوسع ، او بالتصدي العسكري الموفق مكاسب سطي بموازين القوى .

الجانب الثالث من المناخ المحلي السباق التقنولوجي بين العرب واسرائيل واثره على موازين القوى العسكرية او المعنويات .

المناخ العالمي ، هذا المناخ يتألف من امور لا حصر لها ، اهمها الموازين السياسي في العالم ، والاثر التقنولوجي على هذا الموازين ، وعلى تحركات الدول .. صغيرها وكبيرها ، والقوى التي تقف من كل جانب ، ومقدار الالتقاء الذي يلقاه اي جانب من القوى التي تنظر منها الموقف مجابهه .

ومن عناصر هذا المناخ مدى قدرة الدول الاجنبية على التأثير في المناخ المحلي لتحويل جانب من الطاقات عن المعركة ، او لاستغلال جانب من هذه الطاقات في ضرب المعركة ، اذا امكن ، كما حصل مثلا عام ١٩٥٦ ، عندما وقع عراق نوري السعيد نفسه في جانب بريطانيا — فرنسا — اسرائيل .. في عدوانها على مصر .

وكما في المناخ المحلي ، فان للسباق التقنولوجي ، والرفع التقنولوجي النسبي اثره الضخم في العالم ، وهو ينعكس على المناخ المحلي بثلاثة وسائط : الاولى ما يصل الى الجبهة العربية الاسرائيلية من منتجات التقنولوجيا العالمية ، والثانية مما يورده القوى العالمية من معلومات بتراوجه مؤثر في مجرى المعركة ، والثالثة ما تحاول كل فريق ان تسوقه من مستوى التقنولوجيا العالمية الحرة (حيثما توجد مثل هذه الدول بمعزل عن السياسة) ، لتدعم به علمه وتكنولوجيته الخاصة .

هذا المناخ العام ، بشقيه المحلي والعالمي ، يشكل الاطار لقرارات السياسة وامتداداتها .

ومع استبقاء هذا المناخ العام في ذهننا لنقدم ونحاول تفحص مختلف اساليب الميكانيكية على المستوى الاستعصائي المعاري ، واذا وجدنا انا منها بلازما الوصلة الاولى اذا ما اذابة في بوتقة المناخ العام وحاولنا ان نرى اذا ما كان في مستطاعه ان يخرج من هذه البوتقة سليما مرنا جاهزا للاستعمال ، ام تعاية مهشمة للاهمال .

النوع الاول من اساليب الميكانيكية المعالجة هو الاسلوب السياسي البحت .

ولو فرضنا وجود مثل هذا الاسلوب لقلنا بانه يقوم نظريا على الاغراض من اساليب العمل السياسي بقدرة على ارغام اسرائيل على التقهقر ، تحت تضيق ، وتذويب خطرها ، وتسهيل بالتالي معالجة امرها .

والاسلوب السياسي هذا على نوعين .. اولهما الاسلوب الساكن او الدبلوماسي ، الذي يتصور ان العمل الدبلوماسي قادر على تحقيق هذا الهدف ، واقرب مثال على ذلك محاولة نوري السعيد ، في اواخر عهده ، لاثارة قضية فلسطين ضمن حلف بغداد ، واستحصال نوع من العطف على العرب .. وقد رافقت هذه المحاولة جلبة دعائية كبيرة تنادي بانها ستؤدي في النتيجة الى نفي امريكا وبريطانيا عن تأييد اسرائيل ومهد بالتالي لاهمالها امرها ، على مستوى سياسي عالي .

ولا حاجة بنا الى القول بان مثل هذه المحاولة لا تجدي شيئا . اذ ان امكانات الدبلوماسية السياسية محدودة جدا . فالسياسة ضغوط ومقابلة ، والضغط الاكبر منها هو الذي ينجح . والدبلوماسية الساكنة ليست ضغطا ، بل هي في احسن الاحوال محاولة اقناع وفي اسوأها محاولة استجداء ، هذا اذا افترضنا توفر الاخلاص في المحاولة ، لا كونها من باب الازدواجية التي لا يهمها سوى الهاء الرأي العام المحلي والانفلات من ضغطه .

والاسلوب السياسي الثاني هو الاسلوب الديناميكي . وهذا الاسلوب يحاول استنفاد جميع امكانات العمل السياسي — اي العمل اللاقتالي — وطبعتها . في المجال العربي تمسه سلاح سياسي ، قوى الشعوب واستعداده بمهارة وكفاءة — وتلك صفات قل ان يحظى بها السياسة العربية — وذلك هو سلاح المقاطعة . على ان اسرائيل ، وان تضررت منه بدون شك ، استطاعت ان تجد عددا من البدائل عن الاسواق العربية ، وان كانت هذه البدائل كلها عالية الكلفة لاسرائيل .

وقد تركت المقاطعة العربية امكانات كثيرة دون استعمال ، مثلا فان اسرائيل تحصل على موادها من ايران ، وفي مقدور العرب ان يستعملوا [illegible] ، او ان يدرسوا الموضوع دراسة معمقة ويضعوا له خطة للعمل في مجابهة شركات البترول التي تبيع لاسرائيل ، وشركات النقل التي تحمل لها ، وفي مجابهة الحكومة الايرانية .

وبرزت السياسة العربية المعارضة [illegible] الالمانية لاسرائيل ، [illegible] ووضع المدفع العسكري في [illegible] لا يمكن ان يكون القصد منها سوى اعطاء دعم معنوي لدولة اسرائيل .

ولكنها من ناحية ثانية [illegible] الجمهورية العربية المتحدة ، اضعفت نشاط اسرائيل في كثير من المجالات الدولية ، وبخاصة في المجالات الاسيوية والافريقية .

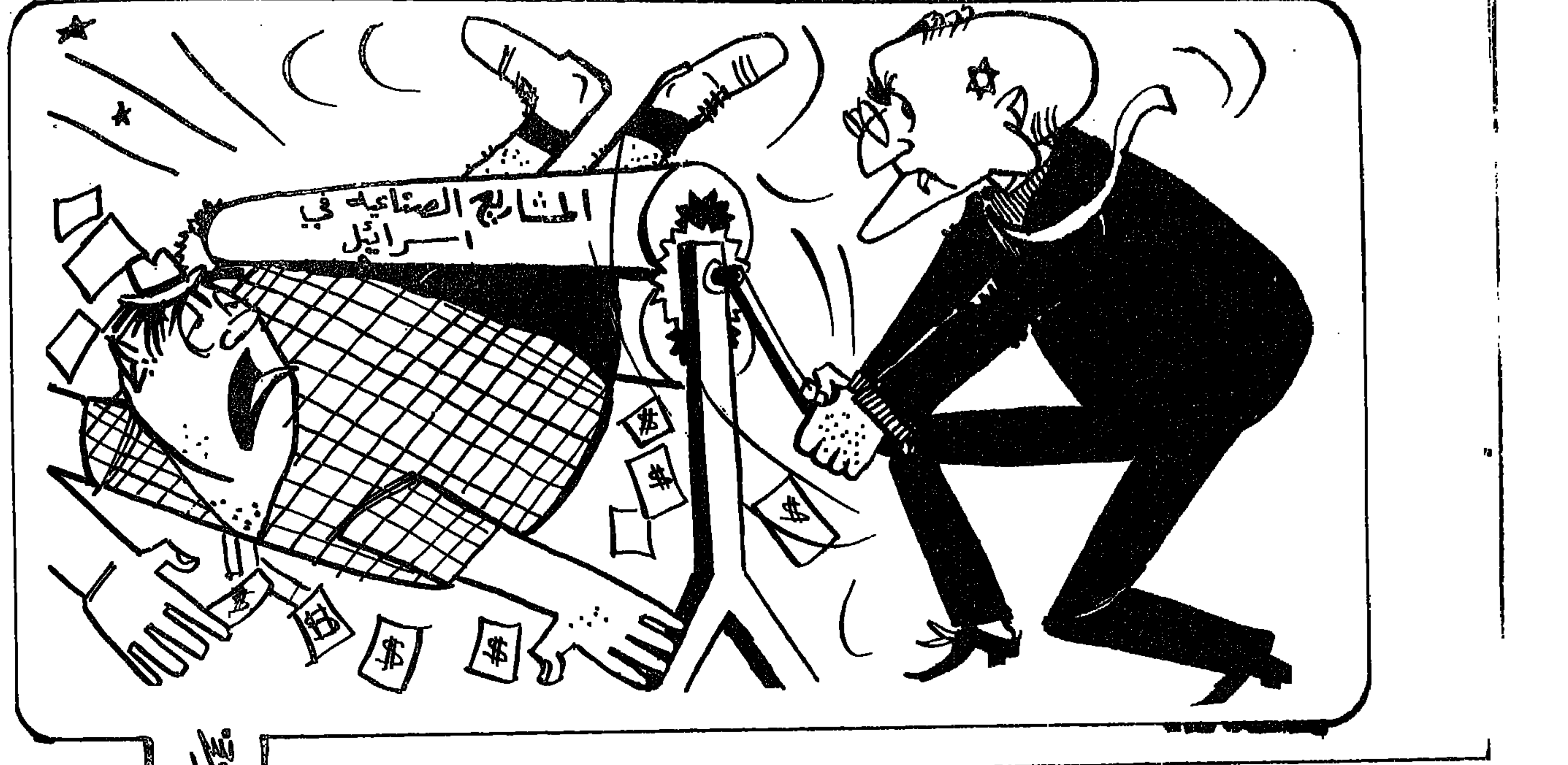
ولكن اخطر سلاح سياسي عربي لم يشهر حتى الآن في وجه اسرائيل — وذلك سلاح البترول . [illegible] العربي [illegible] الاتحادية للدول التي تناصر اسرائيل .. ومن [illegible] استطاع العرب ، تحت [illegible] هذا الربط اتخاذ اجراءات سياسية اخرى ضارة باسرائيل ، كمنع خليج العقبة مثلا . على ان مثل هذه المحاولة [illegible] اولاهما عدم وضوح اهمية هذا السلاح ووسائل شهره واستعماله في الذهن العربي . وربما عدم وجود استعداد كاف لذلك لاسباب عديدة ، والثانية [illegible] الرسمي [illegible] العربي ، والمستسلم لارباب المصالح البترولية واسرائيل .

ولكننا لو اخذنا جردا [illegible] امكانات العمل السياسي ، واستنفدنا [illegible] المجالات التي يمكن تحقيق النجاح فيها ، وحققناه في هذه المجالات ، [illegible] اخرى ما هي اقصى امكانات العمل السياسي ؟

ان العمل السياسي [illegible] كبيرة واحدة : اولها ان اسرائيل استطاعت ان تنزع لنفسها اعترافا دوليا ، فهي بحكم القانون الدولي .. دولة قائمة معترف بها معظم دول العالم وتبادل معها التمثيل الدبلوماسي .. وهي عضو في منظمة الامم المتحدة . ثم ان الصهيونية العالمية — وهي القوة المطلة على اسرائيل ، ذات قدرة ضخمة على الضغط في عدد من مراكز القوة في العالم ، بمختلف الوسائل : بالاموال الاستثمارية ، في امريكا ، بالاعلام ، حيث تؤثر في معظم وسائل الاعلام في العالم الرأسمالي وتملك جانبا كبيرا منها ، بالصفقات التجارية المستمرة التي

البقية ص ٨





لا حاجة للقول بان هذه الزاوية مفتوحة لكل الاقلام ولكل الاراء ، وهي لا تعبر ، بالطبيعة ، عن وجهة نظر (فلسطين) ، وكذلك فان نشر الرسائل في هذه الزاوية لا يقصد الى تقييمها او الى الغاء اهميتها .

● حسني محمود الرويابي ، مخيم برج البراجنة ، لبنان ، يكتب قصته المؤثرة التي ننشرها فيما يلي كما وردت :

« كنت اعيش في فلسطين في قرية كويكات قضاء عكا بين اهلي وبين اخوتي ويومها كنت تلميذا في المدرسة كان عمري ١٢ سنة ، وكان القتال على اشده بين الشعب الفلسطيني وبين عصابات اليهود والاستعمار الانكليزي وعملاء الاستعمار . كان لي اخوة اثنين في سن شباب : الاول كان عمره ٢٠ سنة وكان عازبا واسمه حسين والثاني كان متزوجا واسمه حسن وعمره ٢٣ سنة وله بنت صغيرة .

كنت اعيش بينهم في عز ورفاهية من خيرات ارضي وكنت مجتهدا في دروسي وكنت املهم الكبير في ان يجعلوا مني شابا مثقفا .

قتل اخي حسين على يد واحد من اصدقائه ولا اعرف بالضبط اذا كانت خيانة ام قضاء وقدر فحمل اخي الثاني سلاحه وكان متحمسا دائما ليخوض معركة ضد الطامعين الغاصبين اليهود دخل مرة الى البيت ليجدني اكتب رسالة لاحفظها عندي عن مقتل اخي حسين فنظر في وجهي وقال اليوم تكتب رسالة عن اخيك حسين وغدا سوف تكتب رسالة ثانية عن اخيك الثاني وامسكني بيده وضمني الى صدره كنت ارى في عينيه النار من العدو المغتصب وكانه يقول لي انت مستقبلي انت الذي سوف تكون ابن هذا الوطن انت الذي سوف تثأر لي وبالحقيقة كنت لا اعرف ما معنى هذا الكلام كان كلما خرج من البيت الى الحراسة او الى عملية فداء كان يقبلني ويقول لي لا تنسى ان تكتب قصة عني بالمستقبل كتبتها عن اخيك حسين وكنت لا اعرف ماذا يعني في كلامه حتى جاء يوم ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ ، وقبل ذلك بـ ٢٠ يوما استشهد اخي الثاني في معركة (قلعة جدين) .

وعندما جاء رفاقه واخبروني ذهبت بسرعة بغير وعي لاراه وقد رأيته قبل ان يموت وصلت الى عنده وركعت على قدميه وصرت اقبله وانني اتذكر ما رأيته منه في تلك اللحظة ، مع راسه ليكلمني وكان قد اصيب في راسه نظر في وجهي ومد يده الى راسي وكانت ساعة الفراق .

هل تعلم ماذا كان يعني ؟ كان يقول لي وهو يبكي والارض تشرب من دمه : « دمائي تنادي بالثار » وكانه دموعي تنادي بان اكون بطلا شهيدا مثله ومن بعد ذلك اليوم المشؤوم دمر اليهود منازلنا ونزحت الى لبنان ومعي ابنته الصغيرة التي عاشت معي وكنت اعاملها مثلما كان اخي يعاملني وكنت انظر اليها فاجدها مثل اخي تناديني بالثار وكانت دائما تناديني يا اخي وعندما صارت كبيرة حدثتها عن كل شيء عن حياة ابوها وعن عمها وعن كل شهيد في ارض الوطن وبقيت امها هناك على ارض فلسطين مع اهلهما والبنت هنا في لبنان تمكث معي في مخيم برج البراجنة ولا تزال على قيد الحياة انها دائما تناديني بالثار وانا انتظر بفارغ الصبر ان اثار ان اموت على ارض فلسطين لترجع فلسطين عربية حرة كريمة في ظل العلم العربي والوحدة العربية .

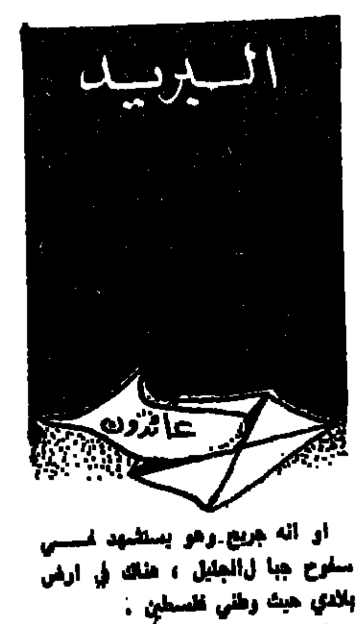
يا رب اجعل يوم الثار قريب والنصر دائما للحق والنصر للشهداء الابطال واننا لعائدون الى ارض الوطن السليب الله .

هذه هي قصتي ارجوكم ان تنشروها في مجلة فلسطين بلحق المحرر والسلام .

● ((ابو هيثم)) — بيروت كتب يقول :

لا ادري ان كان بالمستطاع ان اعبر ولنا في الكوخ الحقير عن مآسي شعبي ..

من حشرجة موت يتلفظها طفل يتيم ، في مخيم خيم عليه ظلام الرعب .



او انه جريح وهو يستشهد في سفوح جبال الجليل ، هناك في ارض بلادي حيث وطني فلسطين .

او من تلك النفس السجينة هناك في احدى سجون العصابات الصهيونية لا ادري اين ولكن هو هناك حيث دارت مذابح دير ياسين .

او من تلك الدماء التي جبلت بها تربة بلادي وبقيت على صخور الجبال تتحداهم ، تتحدى مدافعهم ورشاشاتهم وبقيت تشعل مشعل الحرب وتسمع أمطار تشرين .

او من احاديث الشهيد الاخير قال : من انا ؟ .. ولماذا اعيش ؟

.. ربما عجز عن التعبير عن كل هذا ؛ ولكن هناك حقيقة ، حقيقة تحسد ثوري من قبل شعب باجمعه على عصابات مجرمة ، عصابات تدوسها اقدام المستعمرين .

واما شهيد الجليل فله مني كل التحيات ، سيمجد اسمك يا اخي الشهيد من رجال شعبي ومن النساء ، من الشباب والفتيات ، من الاطفال الصغار والكبار ، وستبقى خالدا الى الابد ، بيننا .

من بعدك يا اخي الشهيد هب الشباب المؤمن بنضاله العربي القومي هب ليقتدي بك وبنضالك ضد العصابات الصهيونية وزبانيتها المجرمين .

● حسن علي معروف ، كتب شعرا يقول فيه :

« ومضينا في الدروب ..
نترع الحزن .. كؤوسا ..
تبعث الايام فينا
.. الذكريات ..
وتعود الذكريات ..
تندب الماضي .. المجيد
فالام المسير ..!!
سألت اليوم ..
فاجاب الامس هيا ..
وصداه اليوم ..
فلسطين ..!
حتما .. سنعود »

● ورسالة بلا توقيع ، تقول :

ولد الشهيد « محمود عزيمة » عام ١٩٣٨ في قرية فرعم قضاء صفد وقد نزح بعد النكبة الى سوريا وانضم الى زمر الفدائيين في سوريا .

اشترك مع اخوة له اكثر من مرة في عمليات استطلاع قوات العدو في الارض المحتلة .

وبتاريخ ١٦ — ١ — ١٩٦١ قام محمود مع زمرة من رفاقه بعملية استطلاع لقلب العدو الا انهم وقعوا في كمين يهودي فقاتلوا قتال الابطال حتى اخر طلقة بعدها استشهد البطل محمود عزيمة مع رفيقه سبع السباعي وانسحب الباقون بعد ان قتلوا عددا كبيرا من اليهود ثأرا للشهيدين .

○ يوسف عثمان قبطان — بيروت ، كتب يقول :

كنت ضابط صف في احدى قوات الجهاد المقدس التي كانت تقاتل جنبا الى جنب مع القوات المصرية في حرب فلسطين ١٩٤٨ في منطقة (الفالوجا) .

وفي شهر كانون اول ١٩٤٨ وبتاريخ ٩ — ١٢ وفي تمام الساعة السادسة مساء قامت القوات الاسرائيلية بشن هجوم انتحاري على القوات المصرية المحاصرة في (الفالوجا) وقرية عراق المنشية تساندها الدبابات الثقيلة بقيادة الاميرالاي المرحوم السيد محمود طه في الفالوجا وكانت الكتيبة السادسة بقيادة البطل جمال عبد الناصر في عراق المنشية وقد استمر الهجوم من مساء ذلك اليوم حتى الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي وكنا قد اشتبكنا مع العدو في قتال عنيف استعمل فيه السلاح الابيض في عراق المنشية لان تركيز الهجوم كان على الكتيبة السادسة لفتح ثغرة للاستيلاء على المنطقة المحاصرة .

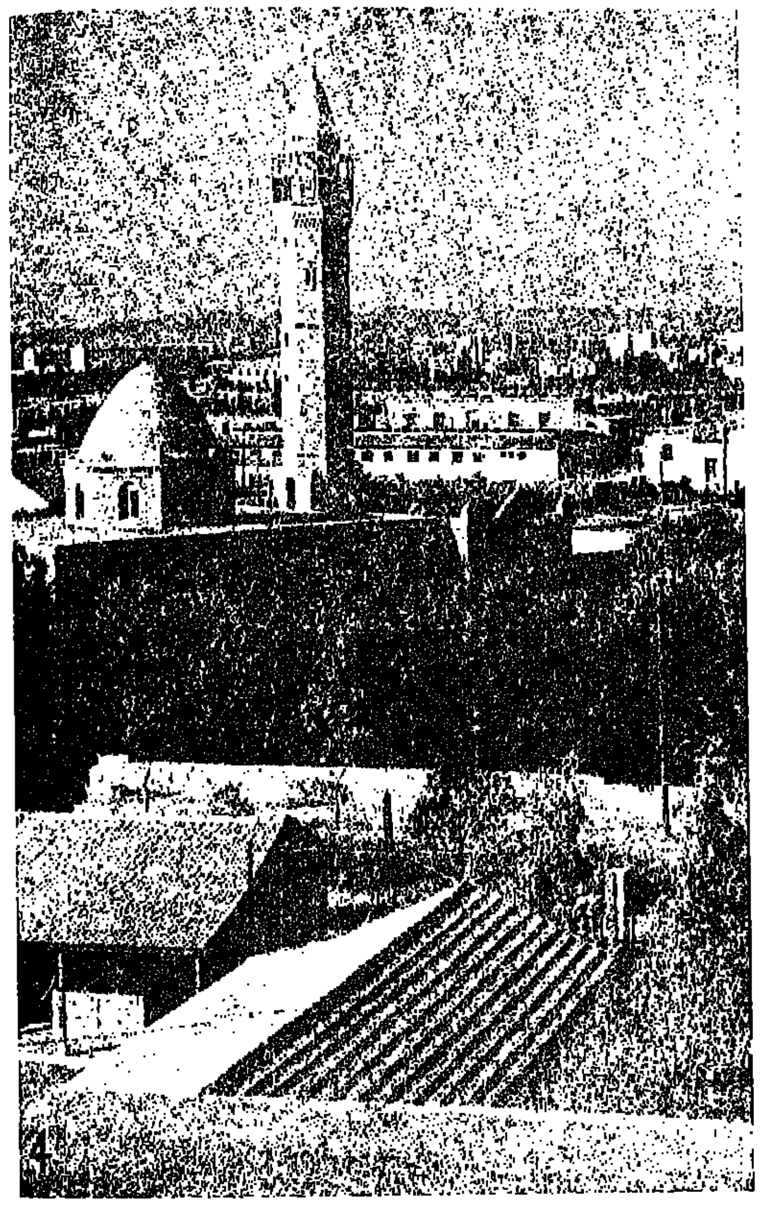
لكن يقظة عبد الناصر والضباط والجنود كانت كافية للقضاء وتحطيم القوات المعتدية تاركين وراءهم مائتين وسبعون قتيلا وثمانية وخمسون جريحا بالاضافة الى اغتنام عدد كبير من الاسلحة والذخيرة ودبابة بريطانية سنتوريون رقمها ١١٦ .

وقد كان جمال عبد الناصر يحمل مدفعه الرشاش ويتقدم المواقع العربية ويصيح بايمانه الكبير اضرب اضرب الله اكبر والنصر للامة العربية اضرب الله اكبر الموت لكم يا جبناء .. وكنا كلنا نقاتل بكل ايمان وكل قوة وتضحية وفداء مقتدين بقائدنا ورافع رايتنا البطل جمال عبد الناصر » .

● ● ●

فلسطين — العنوان : بيروت — بناية العازارية ٨٠٤ — هاتف ٢٥٣٧٠٠ – ٢٣٥٩٥٢

عرب النقب



يعد العدو خطة لترحيل ٢٠ الفا من عرب النقب الى الشمال لثلاثة اهداف لم تعد خافية :

اولا : لتخفيض نسبة تفوق اعداد العرب على اليهود في منطقة النقب (وهو هدف يمارس ايضا . في الجليل تحت شعار ما يعرف بانه تهويد الجليل) ..

ثانيا : لتوفير اراضي لكميات جديدة من المهاجرين اليهود بداوا يفدون الى اسرائيل في نطاق موجة جديدة من الهجرة لفعلية الامكانيات التي يطرحها بدء تنفيذ مشروع جر المياه الى النقب .

ثالثا : لدفع بدو النقب نحو الشمال ، قريبا من المدن اليهودية بحيث يضطرون الى العمل في مشاريع الاقتصاد الصهيوني نتيجة لتجريدهم عن اراضيهم ، وللمشاريع الصهيونية الى ايد عاملة رخيصة .

☆ ☆ ☆

وقد بدات طلائع هذه الحملة حين وجهت في حزيران الماضي الى شيخ قبيلة العطاونة الشيخ موسى ، تهمة اغتيال جندية يهودية في النقب .

وبعد تحقيق طويل عرض افعاله السلطات الاسرائيلية حول هذه القضية تكشف الهدف الحقيقي من ملفق هذه التهمة ، فقد اقصي الشيخ موسى عن مشيخة قبيلته ، بقرار من الحاكم العسكري .

وبعد ذلك بثلاثة اسابيع فقط امر افراد قبيلة العطاونة بالتشتت في امكنة غير تلك التي استقروا فيها زمنا .

ووراء هذا الاجراء تكمن حقيقة جديرة بالانتباه ، ذلك ان اقصاء شيخ العطاونة لم يكن مصادفا ، فطوال الست سنوات الماضية مارس هذا الرجل وجودا يختلف عما اعتادته السلطات الاسرائيلية من بدو النقب .

فقد قام بانشاء تعاونية زراعية حديثة ، في المنطقة التي تملكها قبيلته منذ اجيال ، وجاء لها بالتراكتورات دليلا على رغبته في استغلال الارض والاستقرار ، وكذلك قام بانشاء مدرسة لابناء القبيلة على نفقته الخاصة ، انشا علاقات وطيدة مع مراسلي الصحف الاجنبية ، وبدا انه ينوي تغيير الاسس التقليدية المنعزلة لحياة البداوة .. والعمل على ارساء قواعد مستقبل وطيد وجديد .

وفورا حاول حزب المابام المعارض ، كعادته ، استغلال هذه الظاهرة واعلن انه يحتضن شيخ العطاونة ، فاصوات افراد هذه القبيلة وغيرها من قبائل عرب بئر السبع هي اصوات كثيرة ، وقد كانت دائما خارج الصراع على الاصوات بين المابام والماباي .

ولم يحاول شيخ العطاونة السقوط في معركة لم تكن في حسبانه ولذلك لم يصد هذه الاتصالات ، وربما اعتقد انه يحتاجها في معركة وشيكة مع الدولة ، الا انه من الواضح ان الاعتبارات الاسرائيلية الجوهرية هي اعتبارات يتلاقى عندها الموالون والمعارضون بلا تردد : ولذلك لم يحرك حزب المابام ... ساكنا ... حين اقصي الشيخ موسى عن مشيخته قبيلته بالطريقة المفتعلة التي رسمت باعتناء .

☆ ☆ ☆

لقد كان الاجراء الذي تعرضت له قبيلة العطاونة مقدمة لحملة اضطهاد جديدة شنتها السلطات الاسرائيلية على بدو النقب ، بغية انشاء ضغوط مختلفة تدفع بالعرب هؤلاء الى ترك ممتلكاتهم من الاراضي والاتجاه الى الشمال لتلبية الاحتياجات الاسرائيلية المشار اليها في بدء هذا الموضوع .

فقد صدر مؤخرا « كتاب ازرق » تعلن فيه السلطة العسكرية الاسرائيلية تخليها عن قانون كانت هي نفسها قد اصدرته في وقت سابق يقضي بتجمع عرب النقب في امكنة محددة .

والواضح ان هذا القانون الجديد يهدف الى سلب اجزاء اخرى من الاراضي التابعة لملكية بدو النقب ، ويهدف ايضا الى منع هؤلاء البدو من الاستقرار لان السنوات الماضية اثبتت بان شعور البدو بالخطر يدفعهم الى فعل ما فعله شيخ العطاونة .

لقد استطاع الضغط الاسرائيلي ان يدفع ٣ الاف من بدو النقب ، تقريبا ، الى الهجرة الى الشمال بحيث يصعب عليهم وهم قريبون من مناطق الصناعة ، بغير اراضي وبغير راسمال ، ان يقاوموا كثيرا جذب الحياة العمالية .

على ان ١٧ الف بدوي من عرب النقب ما زالوا يقاومون في الصحراء اجراءات لا مثيل لها في التاريخ ، وتزداد هذه الاجراءات عنفا هذه الفترة بالذات .. وهي الفترة التي تحضر فيها سلطات العدو اراضي النقب لانشاء مستعمرات جديدة تستوعب المهاجرين الجدد الذين سيستحضرون في نطاق مشروع اعمار النقب .

اين نجحت الدعاية العربية وابن فشلت ؟

نشرت « معاريف » الاسرائيلية مقالا كتبه جدعون رافائيل مدير عام الخارجية الاسرائيلية السابق ، والسفير السابق لاسرائيل في بلجيكا واحد اعضاء الوفد الاسرائيلي للامم المتحدة ، حول سياسة اسرائيل الخارجية .

وسجل في مقاله ، حول الدعاية العربية في الخارج ، بعض الانطباعات مما يلي موجزها :

« لقد حققت الدعاية العربية في السنوات الماضية ، على الصعيد الخارجي انتصارين لا جدال حولهما .

الاول ان العرب نجحوا في خلق انطباع لدى العالم بان العلاقات بين الدول العربية واسرائيل هي علاقات الاوسط وانها السبب الرئيسي والجوهري تختلف تماما عن بقية مشاكل الشرق في التوتر المحلي .

والثاني ان العرب نجحوا في تصوير مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بانها مشكلة فريدة من نوعها في العالم .

وسجل رافائيل ان الدعاية العربية فشلت في النجاح بهدف اساسي ثالث وهو التوصل الى اقناع قطاع كبير من العالم ان اسرائيل هي ظاهرة غير مادية وانها لا تملك حق الوجود ولا البقاء . »

عكا القديمة في خطـر

● ذكرت « هابوكر » في ١٨ — ١١ — ١٩٦٤ ان النواب العرب الثلاثة توفيق طوبي ، و س. خليل والياس نخلة اثاروا قضية (١٦٠٠) شخص عربي يقيمون في مدينة عكا القديمة ، داخل بيوت على وشك الانهيار ، امام الكنيست .

وقال النواب : ان هؤلاء العرب يقيمون في منازل تملكها شركة « عميدار » ، مقابل بدل ايجار سنوي يدفعونه لها ، وان السيد محمد الحيشي نائب رئيس بلدية عكا ، وقع على اتفاقية مع شركة « عميدار » المذكورة ، تساهم الشركة بناء على هذه الاتفاقية ، بدفع نصف نفقات تعمير هذه المساكن ، ويدفع السكان العرب النصف الاخر ، لكن الشركة عادت فالغت هذه الاتفاقية .

وقال النواب العرب ايضا : ان مدير دائرة الاراضي في اسرائيل يطالب بمبلغ ١٠٠ الف ليرة اسرائيلية للدونم الواحد ، من قطعة الارض التي خصصها لسكنى سكان بلدة عكا القديمة ، بينما كان الثمن ١٠ الاف ليرة اسرائيلية للدونم الواحد ، قبل اربع سنوات .

واجاب يوسف الموجي وزير الاسكان والاعمار الاسرائيلي بان « قضية السكان العرب المقيمين في مدينة عكا القديمة تشكل قسما من القضية العامة لستين الف مواطن يعيشون تحت ظروف صعبة ، في اسرائيل » .

الاهتمام بالمال فقـــط !

ذكرت « هاآرتس » ان نشاط « كيرن هايسود » في الخارج محصور الان في مجال الجباية اليهودية الموحدة ، والتي جمعت منذ قيام اسرائيل حتى الان ، (٩١٨) مليون دولار ، ومن هذا المبلغ (١٦٧) مليون دولار في السنوات الاربع الاخيرة . وخلال هذه السنوات الاربع قدمت الجالية اليهودية الاميركية (١٢٠) مليون دولار لاسرائيل .

وكان معدل الجباية السنوي (٥٧) مليون دولار من جميع الجاليات اليهودية في الخارج .

وتقدم كيرن هايسود هذا المال كله الى الوكالة اليهودية التي تتولى الاشراف على شؤون الهجرة ، واستيعابها ، وانشاء المستعمرات الزراعية في اسرائيل ، بموجب اتفاقية معقودة بينها من جهة ، وبين حكومة اسرائيل والهستدروت الصهيونية العالمية ، من جهة اخرى .

وخلال السنوات الاربع الاخيرة هاجر الى اسرائيل ربع مليون مهاجر . ومن هؤلاء ٧٠ الف مهاجر اتوا اليها من البلاد الفقيرة . وتتطلب البرامج المرسومة لانشاء مستعمرات زراعية جديدة في اسرائيل لاستيعاب المهاجرين الجدد فيها (١٠٠) مليون دولار ، شريطة ان تساعد وفرة الماء على توسيع شبكة هذه المستعمرات .

وقالت « هاآرتس » : ان الوكالة اليهودية انشات ٢٥٠ مستعمرة زراعية منذ قيام اسرائيل حتى الان .





وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح

عرض وتحليل بقلم : انيس القاسم

ستتجه الحركة الصهيونية الى الراي العام لكسب المزيد من عطفه وتاييده وفي يدها شواهد من وثيقة المجمع المسكوني تستطيع ان تستغلها الى ابعد حدود الاستغلال .. ولا يعني الحركة الصهيونية مطلقا ان يكون آباء المجمع المسكوني لم يروا في وثيقتهم ما تريد الحركة الصهيونية ان ترى فيه ... فهي التي ستستغل البيان لاهم ، وهم المطالبون بالتحلي بخلق التسامح ومحبة الاعداء لا هي . ولذا فمن حقنا ان نفترض ما ستفترضه الحركة الصهيونية من انها لن تلقى مقاومة من رجال الدين الكاثوليك في الغرب وهي تفسر بيان المجمع المسكوني على هواها وتطالب بتطبيقه وفق طرقها الخاصة ولاهدافها الخاصة .

فوثيقة المجمع المسكوني وصفت الشعب اليهودي بانه «الشعب المختار» ووصفت خلاص الكنيسة بانه سبق ذكره في صورة صوفية في خروج الشعب المختار من ارض الاستعباد . وقالت ان الكنيسة لا يمكن ان تنسى انها استمرار لذلك الشعب الذي تفضل الله عليه برحمته الواسعة ، في يوم من الايام بتحقيق عهده القديم ، وكلا اليه الوحي المذكور في كتب العهد القديم .

وستتناول الحركة الصهيونية عبارة خروج الشعب المختار من ارض الاستعباد لتغوص في اذهان الجميع ان ارض الاستعباد هي الارض التي تشتت فيها الشعب اليهودي في مختلف الايام والعصور ، وان ارض الحرية هي ارض اسرائيل ، وان من واجب الكنيسة واتباعها ان يعملوا جميعا على تاييد الشعب المختار في خروجه من ارض الاستعباد وعودته الى ارض الحرية ، وخصوصا وان الرب قد وعد بذلك وما دام ان عهدا من العهود الواردة في العهد القديم ، وهو ظهور السيد المسيح ، قد تحقق عن طريق الشعب اليهودي ، فيجب الان العمل على تحقيق العهد الاخر ، وهو عودة اليهود الى ارض الميعاد .. وواجب الكنيسة ، التي هي استمرار للشعب المختار ، ان تعمل على تحقيق هذا العهد .

الكنيسة اذن مدينة للشعب اليهودي برمته لانه هو الذي اوكل اليه الوحي المذكور في كتب العهد القديم . والذي يلفت النظر في العبارة الواردة في الوثيقة الى الوحي قد اوكل الى الشعب اليهودي ولم يوكل للسيد المسيح بالذات .. وهذا القول ينسجم تماما مع التفكير اليهودي الذي يعتبر النبوة المنتظرة الذي ورد ذكره في العهد القديم .. وبهذا اقر المجمع المسكوني بادعاء اليهود بانهم شعب الله المختار وان الوحي يوكل اليهم لا الى غيرهم .

والكنيسة استمرار للشعب اليهودي حسبما جاء في وثيقة المجمع المسكوني . ولم تقل الوثيقة ان الكنيسة استمرار للديانة اليهودية ، بل ان الوثيقة تحاشت تماما ما اقل اشارة الى الديانة اليهودية وركزت كل تعبيراتها على للشعب اليهودي فان من واجبها ان الصهيوني ، بناء على ذلك ، الى القول انه ما دامت الكنيسة باتباعها استمرار للشعب اليهودي فان من واجبها ان تناصر هذا الشعب لتحقيق آماله ، ذلك لان تحقيق هذه الامال هو تحقيق لامال الجميع من اصل وامتداد — الاصل هو الشعب اليهودي والامتداد هو الكنيسة . وما دامت الكنيسة استمرار للشعب المختار فان اتباعها ايضا هم من الشعب المختار وان العهد الذي قطع بالعودة الى ارض الميعاد هو الان عهد قطع للكنيسة بقدر ما للشعب اليهودي .

اننا ندرك بطبيعة الحال ، ان المنطق والواقع يعانيان ازمة كبيرة عندما نعرض الامور على هذا الوجه ، وان ارسطوا ينقلب في قبره . ولكن يجب الا ننسى ابدا ان الحركة الصهيونية ليست منطقية الا مع نفسها وان الفرض السابق قد باتت مغايرته للمنطق والواقع لانه جاء متعصبا ووضع بصورة الجدل المنطقي .

اما الحركة الصهيونية فهمها لن تفعل شيئا من هذا القبيل ، انها ستقرر جميع ما تقدم على انه واقع ونتيجة مسلم بها . فالحركة الصهيونية قلما تدخل في جدل منطقي واذا دخلت فانها تتخير مقدماتها وتصوغها بشكل يضمن ان تكون النتائج هي ما ارادتها . ولذلك فانني التمس العذر من القارىء اذا لمس عنتا في المنطق او تحميلا لبعض العبارات فوق ما تحتمل في المنطق العادي الحسن النية . ونحن لن نناقش النواحي الدينية التي حاول ان يعبر عنها البيان حتى لا نتهم بالخوض في امور دينية وكاننا نعيش في القرون الوسطى بحيث يمتنع على المسلم ان يتحدث حديثا علميا حرا في الشؤون الدينية المسيحية او يمتنع على المسيحي ان يتحدث حديثا علميا حرا في الشؤون الدينية الاسلامية . ولذلك فنحن نتساءل كيف يمكن اعتبار مسيحي اليوم على اختلاف اجناسهم وبلدانهم استمرار للشعب اليهودي ؟ قد تكون الديانة المسيحية استمرارا للديانة اليهودية ، اذا اراد المسيحيون ذلك ، اما ان يكون اتباع الديانة المسيحية استمرار للشعب اليهودي فهذا قول في غاية الغرابة . فنحن لا نعتبر المسلمين على اختلاف اجناسهم وديارهم استمرار للشعب العربي الذي جاء بالاسلام .

ان التركيز على الشعب اليهودي بدلا من الديانة اليهودية او السيد المسيح امر يلفت النظر ولا يجوز ان نفترض ان ذلك قد جاء دون قصد ، ومما تجب الاشارة اليه ان الشعب اليهودي قد رفض ان يدخل في كنيسة السيد المسيح ، ورفض الاعتراف بالسيد المسيح وقاوم رسالته اعنف مقاومة ولا يزال يرفض بعناد واصرار تحقيق الامل المسيحي الذي تحدث عنه البيان من اتحاد الشعب اليهودي بالكنيسة . لو ان الشعب اليهودي التف حول السيد المسيح او آمنت به غالبية ذلك الشعب ونصرته لكان من حق الشعب اليهودي ان يجد ولامكن ، ولو بصورة صوفية ، اعتبار الكنيسة استمرار الشعب اليهودي . غير ان الشعب اليهودي ، بكهانه وكتابه وعامته ، قرر قتل الرسالة وصاحبها ، وما اكثر ما وردت عبارة القتل في الكتاب المقدس وتامر على ذلك حتى نجح في مؤامرته .

ثم تجاب الوثيقة بعد ذلك لتذكر العالم المسيحي بان الكنيسة لا تنسى ان المسيح ولد — من ناحية الجسد — في الشعب اليهودي وان ام المسيح ، مريم العذراء ، والحواريون ، وهم اساس ودعامة الكنيسة ، قد ولدوا ايضا في الشعب اليهودي .

من حق الكنيسة الا تنسى كل هذا ، ومن حقها ان تنسى ، اذا ارادت ما فعله اليهود بالمسيح وحوارييه ، ولكن الوثيقة تركت النتائج التي تترتب على هذا التذكر دون توضيح . ولذلك فان الحركة الصهيونية ستستغل هذا التذكر لتذكر الكنيسة بدينها الكبير للشعب اليهودي الذي لم يكن له خيار على الاطلاق في ان يولد السيد المسيح وامه والحواريون كما ولدوا . والشعب اليهودي الذي لا يمكن ان يعزى له اي فضل في واقعة الولادة ولم يكن له اختيار لا لمسها ولا لاحداثها هو ذاته الشعب الذي اختار ان يعذب هؤلاء جميعا . فمن العجيب ان يعزى للشعب اليهودي فضل فيما لم يكن له فضل فيه ولا يشجب او يؤاخذ فيما كان له مطلق الخيار فيه . اننا لا نجد شعبا من الشعوب لمجرد ان شخصا ، مهما علت مكانته ، قد ولد ذلك الشعب خصوصا اذا كان ذلك الشعب قد سام الوليد اسوا العذاب وصار جديرا بالاحتقار لا بالتمجيد .

وتمضي الوثيقة الى الاشادة بالشعب اليهودي فهم الذين هم اسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد . نرى عندما اطلق بولس الرسول هذه الكلمات هل كان يعني يهود عصره ام اليهود عبر العصور والاجيال ؟ هل ليهود اليوم ايضا الذين هم اسرائيليون التبني والمجد والعهود الخ ؟ ان البيان لم يجر ايه تفرقة ، كما فرق بين اليهود الذين عذبوا السيد المسيح ويهود عصرنا الحاضر . واي نعمة تريد الحركة الصهيونية اكبر من هذه النعمة واي باب اوسع من هذا الباب وهي تسعى لاقامة مجد لليهود الذين هم اسرائيليون وتحقيق عهد من العهود لهم وهو العودة الى ارض الميعاد ، لن تقف الحركة الصهيونية عند حد في استغلال هذه العبارة والتوسع فيها .

وكانما هذا كله لا يكفي ، ولذا مضت الوثيقة الى تذكير المسيحيين بامور اخرى مدينين بها للشعب اليهودي ، فيقول ولما كان المسيحيون قد تسلموا من اليهود ذلك التراث العظيم فان هذا المجمع المسكوني يهدف الى التشجيع والتوصية بمراعاة التعارف والاحترام المتبادل تماما بين المسيحيين واليهود الذي سيصبح عميقا عن طريق البحث اللاهوتي والحوار الاخوي .

ان الحديث عن التراث حديث علمي وحضاري لا ديني ، ولذا فمن حقنا ان نتساءل عن التراث العظيم الذي تسلمه المسيحيون من اليهود ؟ اذا كان المقصود كما نفهم من السياق ان هذا التراث هو الديانة المسيحية فان هذا التراث العظيم لم يكون في يوم من الايام جزءا من التراث اليهودي — والتراث لا يسمى تراثا الا اذا صار جزءا ملتصقا من حياة الشعب الذي تنسب اليه التراث ، ومع ان التراث المسيحي قد اصبح جزءا من تراث شعوب كثيرة الا ان الشعب الوحيد الذي رفض رفضا قاطعا ان يجعله جزءا من تراثه هو الشعب اليهودي الذي تقول البيان انه سلم المسيحيين .

ومع ذلك فان الحركة الصهيونية ستستغل هذا الاعتراف من جانب المجمع المسكوني بان المسيحيين قد تسلموا من اليهود التراث المسيحي الذي يعتزون به .

وستستغل الحركة الصهيونية الى ابعد حدود الاستغلال ما اوصى به المجمع المسكوني من وجوب التعارف والاحترام المتبادل بين الشعب اليهودي والمسيحيين ، كما ستستغل الدعوة الى البحث اللاهوتي والحوار الاخوي . اما البحث اللاهوتي فمن المنتظر ان تولاه الحركة الصهيونية ومستندة على ما جاء في الوثيقة لابراز فضل الشعب اليهودي على المسيحية والكنيسة ذاتها . واما الحوار الاخوي فستستغله الحركة الصهيونية لحمل رجال الدين الكاثوليكي على السير في المخطط الصهيوني فيما يتعلق بتايد قيام اسرائيل من الناحية الدينية ... وستستغل الحركة الصهيونية مبدأ التعارف والاحترام المتبادل لانشاء الجمعيات المشتركة بين انصارها وبين ابناء الطائفة الكاثوليكية واقامة الندوات وجمع التبرعات والقيام بالزيارات لاسرائيل ونشر الكتب والمجلات ، وما الى ذلك من المناورات والاساليب الصهيونية المعروفة .

وتمضي الوثيقة الى القول : كما ان المجمع المسكوني بالاضافة الى ذلك ، سيستنكر بشدة ذلك الظلم الذي يتهدد له الناس في اي مكان ، كما سيستنكر ايضا الكراهية والمعاملة السيئة لليهود .

وواضح من سياق الوثيقة ان عبارة استنكار الظلم قد وردت في غير موضعها وانها زجت زجا حتى لا يظن ان المجمع المسكوني يستنكر الظلم الذي يتهدد له اليهود فقط . ومما يؤكد هذا ان الوثيقة قد اشارت الى هذا الموضوع في مبادئها العامة التي وردت في اخر الوثيقة .

غير ان هذه الصياغة قد اوجدت مفارقة واضحة ، اذ وضعت جميع البشرية في جانب من حيث الظلم ووضعت اليهود في جانب اخر من حيث الكراهية والمعاملة السيئة ، من ان غير اليهود هم الذين يسامون العذاب ويظلمون في ايامنا هذه . وهذا النمط في التفكير الذي يقسم الجنس البشري الى قسمين : الشعب المختار وبقية الجنس البشري تفكير يهودي لا مسيحي .. فالمسيحية تعتبر الجنس البشري كله من ابناء الله . اما التراث اليهود فلا يجري على هذا النحو .

ومع اننا نقر الوثيقة فيما يتعلق بموقفها في هذا الشان : استنكار الظلم واستنكار سوء المعاملة الا ان الحركة الصهيونية ستستغل هذه الاشارة الخاصة للشعب اليهودي لتطعن في موقف العرب من قضية فلسطين . او ليس سكان اسرائيل من اليهود ؟ اليس ظلما ان يحاول العرب اخراجهم من ارض الميعاد ؟ الا تعبر السياسة العربية تعبيرا عن الكراهية لليهود وسوء المعاملة لهم ؟ والان يجب ان تقف الكنيسة ضد هذا الظلم وضد الكراهية وسوء المعاملة . ورفع الظلم عن العرب ، ان كان حقا قد وقع عليها ظلم ، يمكن رفعه بتوطينهم في البلاد العربية الشاسعة الاطراف . اما الشعب اليهودي فانه سيعود مجددا مشردا مظلوما مضطهدا فيما لو اخرج من اسرائيل . وعلى هذا النحو من المنطق الذي سبق واستعملته الحركة الصهيونية ستستمر في ادعاءاتها دون ادنى اشارة الى حقوق عرب فلسطين . وستسعى الحركة الصهيونية لاستغلال رجال الدين وغيرهم لنشر هذه الدعوة كجزء من برنامج عام يرمي الى رفع الكراهية واساءة المعاملة والظلم عن اليهود .

وتسير الوثيقة بعد ذلك لتقول : ومن الواجب ايضا ان نذكر ان اتحاد الشعب اليهودي مع الكنيسة هو جزء من الامل المسيحي ، والواقع ان الكنيسة ، حسب تعاليم بولس الرسول تفتح بمعتقده متينة ورغبة اكيدة ، في وجه ذلك الشعب باب التحول في سلطان شعب الله كما وعده المسيح .

ان هذا الامل المسيحي لم يتحقق حتى الان بالرغم عن انقضاء حوالي الفي سنة والباب مفتوح ينتظر الشعب اليهودي ان يدخل منه .. فالشعب اليهودي ما زال لم يدخل في شعب الله كما وعده المسيح ، ولم يسمع شعب على ذلك كما سمع عنه الشعب اليهودي وليس في الافق ما يشير الى اي تغيير في هذا الموقف . ومع ذلك فقد راى المجمع المسكوني ان يشير الى ذلك الامل اشارة خاصة اظهارا لمكانة الشعب اليهودي بالنسبة الى الكنيسة .

وما دام هذا جزءا من الامل المسيحي .. فمن واجب الكنيسة ان ترعى الشعب وتساعده في قضاياه على امل ان يحقق اليهودي ويسر له اموره ويعطف عليه ذلك الامل المسيحي في اتحاد الشعب اليهودي بالكنيسة . وستطالب الحركة الصهيونية بهذا كله وباكثر منه .. بل وقد تعمل بعض ابنائها على اعتناق المذهب الكاثوليكي كدليل على ان الشعب اليهودي قد بدا يفكر في دخول الكنيسة التي ترعى قضاياه وتساعده . ولن تكون هذه المرة الاولى في التاريخ التي

البقية صفحة ٨

هكذا من الزمن

مذكرة الارض الى الامم المتحدة

اول صوت عربي يدوي داخل سور القمع والارهاب في اسرائيل

في عددها الماضي نشرت « فلسطين » الجـزءالاول من هذه المذكرة الهامة التي رفعتها « منظمة الارض » العربية في الارض المحتلة الى يوثانت .

وكانت « فلسطين » قد ذكرت ان المصـادر الغربية والصهيونية قد طمست اخبار هـذه المنظمة واخفتها واستطاعت تغييبها من العالـمكله ، وان فلسطين قد استطاعت الحصول عليها بصورة مثيرة سجلت في اوانها .

واحتوى ذلك الجزء من المذكرة هجوما عنيفاعلى السلطاتالاسرائيلية وتنفيذا لكافة ادعاءاتها وتحدث ذلك الجزء عن سياسة سلب الاراضي ،وعن عمليات نهب اموال الاوقاف ، وعن طبيعـة الحكم العسكري الذي يسلط على العرب وعلىوضع الثقافة العربية في الارض المحتلة .

وفيما يلي تتمة تلك المذكرة الهامة ، ترجمتهـافلسطين حرفيا :

رابعا : التميز العنصري

لقد اكد اعلان الاستقلال على المساواة بين جميع المواطنين ودعا الى اشراك العرب في كافة المؤسسات الرسمية والعامة . ولسوء الحظ فان سياسة الحكومة بالنسبة للعرب كمواطنين من الدرجة الثانية تعاملهم بشكل سيء جدا وتشجع جميع الاجراءات التمييزية بينهم وتساعد على تغذية الخلافات فيما بينهم . ان اوجه التمييز اخترقت جميع اوجه الحياة وخلقت مشاعر دائمة من الكراهية والشك .

تشكل الاقلية العربية ١/١٠ من سكان اسرائيل وهم يقومون بكافة التزاماتهم ويدفعون ما يتوجب عليهم من الضرائب ومع هذا فان الموظفين العرب في الحكومة يشكلون ١،٥ بالمئة من مجموع الموظفين .

في احدى الحملات الانتخابية لعـام ١٩٦١ قال احد مرشحي الحـزب الحاكم « على الحكومة ان تحـول العرب في اسرائيل الى طبقة عمـال لتخدم الجماهير اليهوديـة » . ان الحكومة ، في الواقع ، تتبنى هـذه السياسة وتحاول ان تحقق معطياتها باقصر وقت ممكن .

ان الظواهر الملموسة لسياسـة التمييز المتبعة ضد العرب في اسرائيل تؤثر في جميع اوجه الحياة . نستطيع ان نذكر ما يلي بايجاز :

الخدمات العامة : لا تزال معظـم القرى العربية حتى الان دون مـاء الشرب والكهرباء والشوارع .

الخدمات الصحيـة : تشكو معظم القرى العربية من غياب اية خدمـات صحية . ان الحادثة الاخيرة في قريـة كفر قاسم؟ حيث توفي ١٢ طفـلا مـن « الحصبة » مثل صارخ على هـذا الاهمـال .

السلطات المحلية : ان التجمعـات العربية تقاسي من « طاعونين » اما وجود مجالس محلية معينة من قبـل الحكم العسكري ، واما غياب هـذه المجالس .

واخيرا وليس اخرا فان الحكومـة العسكرية تنكر حريات المواطنين العرب الاساسية : حرية الكلام ، حريـة التعبير ، والحرية السياسية . ان الحكومة تعارض بشراسة اي محاولة لتاليف حركة عربية حرة مستقلة تمثل فعلا الاقلية العربية . وترفض الحكومة ايضا اعطاء العرب حقهم الاسـاسي باصدار جـريدة تعبر عن مشاعرهـم وآمالهم ومطالبهم وحقوقهم .

ان المعارضة المريحة لاقامة حركة عربيـة سياسيـة حـرة مستقـلة ، والمحاولات تستخدمها السلطة لتحقيق هدفها الرئيسي في تصفية الشخصيـة العربية القومية في اسرائيل .

وتشجع السلطات الشباب العربي بالمقابل بالانخراط بالاحزاب الصهيونية والمعارضة للصهيونية آملة من وراء ذلك محو مشاعرهم القومية ومسهـلة بالتالي انصهارهم بالمجتمع اليهودي .

ووسط هذا الجوالمشحون بالاضطهاد والتمييز العنصري والشوفينية ، انطلق صوت عربي ابي يطالب بجميع الحقوق المشروعة للعرب في اسرائيل وباحترام جميع مشاعرهم وتقاليدهم .

لقد انبعث هذا الصوت الشجـاع من مجموعة من الشباب العربي المؤمنين بعمق بمعتقداتهم الابينـة ، والـذين يرفضون بشدة جميـع اشكال التمييز ويعـارضون بقوة سرقـة الاراضي ومصادرتها . انهم يدعون الى المساواة العدالـة ، الاحتـرام ، الكرامـة ، والحرية . انهم يصرخون بشدة منادين بالعدالة التي تنتهك بالقوانين الرديئة والخـداع .

ان هذه المجموعة من الشباب قـد انضـدت تحت شعـار « العدالة » واسم واحد هـو (الارض) وهـم يعرفون عادة بـ (جماعة الارض) .

ولقد قرروا في بداية نشاطاتهم ان يصدروا جريدتهم باسم « الارض » التي ترمز الى تراثهم الخالد الذي تملكـه العرب عبر الاجيال .

وقبل ذلك اصدروا الى الـراي العام بيانا اوضحوا فيه عدالة مطالبهم ونواياهم المسالمة . ثم قدموا طلبـا رسميا للسماح لهم باصدار مجلتهم . ولقد اخرت السلطات اعطاءهم الجواب فترة تجاوزت المهلة المعطاة في القانون متذرعة باعذار واهية . ولهذا قررت جماعـة الارض ان تصـدر نشرة اسبوعية تعبر عن ارائها المحليـة والسياسية . لقد كان اصدار النشرة بداية الصدام العنيف مع السلطة التي حاولت بمختلف الوسائل ان توقـف نشاط هذه الجماعة ، ولقد قـاسى اعضاؤها بالتالي من غرامات ماليـة واقتصادية عنيفة . وشنت الصحـف المحلية حملة مضللة ضد الجماعـة وقذفتها بشتى انواع التهم والمقاصد .

ولقد ساهمت في هذه الحملة الصحف اليهودية خارج اسرائيل ومن بينهـا « جويش كرونيكل » الصادرة في لندن. لقد صمدت « الارض » بعناد امـام جميع الهجمات والملاحقات ولم تنحرف او تتنازل مطلقا عن معتقداتها العادلة وايمانها المقـدس . واخـيرا قدمت السلطات اعضاء الجماعة الى المحاكمة بتهمة مخالفة قانون الصحافة . لقـد حكم على كل منهم بغرامة قدرها الف ليرة اسرائيلية وبحبس ٣ اشهر مـع وقف التنفيذ . ولقد خفض المبلغ الى النصف بعد الاستئناف ولكن مدة السجن بقيت كما هي . وبالرغم من ان هـذه الاحكام قد اثرت في الوضع المـادي لاعضاء « الارض » فانهم استمـروا في نضالهم من اجل قضيتهم العادلة .

وبعد ذلك قامت هذه المجموعـة بتقديـم طلب الى (قـلم تسجيـل الشركات) مطالبين بتسجيلها شركـة تجارية للطباعة والنشر باسم « شركة الارض المحدودة » . ولكن قلم التسجيل رفض الطلب بحجـة امـن الدولـة والسلامة العامة . وقدمت القضية الى « المحكمة العليـا بالقـدس » التي رفضت ادعاءات قلم التسجيل وطلبت الترخيص بانشاء الشركة . فما كان من المـدعي العـام الا ان استـانف الحكم ، وجلس خمسة قضـاة على المنصة . وبعد التداول وباغلبيـة الاصوات قررت المحكمة تثبيت القرار وبالتالي الترخيص بالشركة . وهكذا قامت هذه الشركة بتقديم طلب باصدار المجلة المنتظرة « الارض » . ومـرة اخرى رفض حاكم القطاع (قطـاع الناصرة) طلب الترخيص بحجة ان مجلس المحررين تنقصه بعض المؤهلات.

وقدم طلب جديد متضمنـا جميـع المستندات المطلوبة من رئيس تحرير . ولكنه ووفاء منـه بقراره السابق ، اصدر الحاكم قراره برفـض الطلب مستندا الى المـادة ٩٤ مـن قـانون الطوارىء التي تمنحه هذا الحق .

ان هذه الحملات الكريهة التي وجهت ضد الشبـاب العربي زادتهـم ايمانا بمعتقداتهم السياسية ، واكدت بشكل قاطع التعصب الاعمى والشوفينية .

ان جماعة الارض تؤمن ان العرب في اسرائيل جزء من الفلسطينيين العرب الذين يشكلون جزءا من الامة العربية لا يتجزأ .

ان اهدافهم هي التالية :

١ ــ المساواة بين جميع المواطنين بجميع الحقوق والحريات الاساسية . وانهاء التمييز والاضطهاد .

٢ ــ قبول اسرائيل بقرارات الامم المتحدة الصادرة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ والمتعلقة بالتقسيم . هـذه القرارات التي تشكل حلا عادلا وتحمي مصالح العرب واليهود وتضمن الاستقرار والسلام في الشرق الاوسط .

٣ ــ تبني اسرائيل لسياسة عـدم الانحياز ، الحياد الايجابي ، والتعايش السلمي .

٤ ــ اعتراف اسرائيل بحركـة القومية العربية ، هذهالحركة التي تدعو للوحدة والاشتراكية كقوى تقدمية يعتمد عليها مستقبل المنطقة ، وعلى هـذا الاعتراف يتوقف مستقبل اسرائيـل نفسها .

٥ ــ التعاون مع جميع الاطراف في اسرائيل التي تؤمن بالمبادىء الانفـة الذكر ، او ببعضها .

وسعيا وراء العدالة والتفـاهم ، بادت جماعة الارض وقدمت طلبا الى المحكمة العليا بالقدس التي رفضت هذا الطلب في جو مشحون بالعـداء لم يكن متوقعا مطلقا .

لقد اعلن رئيس المحكمة في حيثيات قرار الرفض ما يلي :

« لقد ادعى مقدمو الطلب ان عدم السماح لهم باصدار جريدة تعبر عن آرائهم السياسية يخالف حرية الفرد وحرية الصحافة . ولكن بما ان هذه القضية هي قضية سياسية ــ اجتماعية متصلة بالظروف الخاصة التي عاشت اسرائيل في ظلها في السنوات الماضية فان هذه القضية يجب ان لا تبحث هنا بل في مكان اخر . ان القرار الحاسم يجب ان يتخذ في الكنيست وليس في المحكمة ، لان المحكمة ملزمة بتنفيـذ القانون » .

كما اعلن القاضي بيرنسون ما يلي :

« لقد ادعى مقدمو الطلب انه لو طلبت المحكمة من حاكم القطاع نفسه اسباب رفضه اعطاءهم ترخيصا ، انه لو تم ذلك لتبين ان سبب المنع ناجم عن تمييز عنصري ضدهم كعرب لانهـم يحملون وجهات نظر لا تنسجم مـع المنظمات اليهودية الاخرى ولا مـع ما يؤمن به حاكم القطاع .

« ومن ناحية اخـرى اكد المـدعي العام للمحكمة ان سبب رفض الحاكم يعود لاسباب متعلقة بالامن فقط ، وان السبب في عدم نشر الاسباب يعود الى امر صادر من وزير الدفاع . ولقـد ابدى المدعي العام استعداده لعـرض هذه الاسباب امام المحكمة .. ولكننا رفضنا طلب المدعي العام لانه لا يحق لنا كمحكمة ان نطلع على الاسباب التي تقف وراء القرارات التي يتخذهـا الحاكم ما دامت ضمـن صلاحياتـه القانونية .

« صحيح انها قضيـة جدية ... ولكن المحكمة لا تملك اي بديل غـير تنفيذ القانون كما هو قائم ... فاذا رفض الحاكم ابداء اسباب رفض طلب الترخيص لا تستطيـع المحكمـة ان تتدخـل » .

وبالاضافة الى ذلـك فان قـانون الطوارىء يمنح الحكام العسكـريون السلطات الكافية للتدخل في كافة اوجه الحياة . ويتضح هذا في المادة ٩٤ من هذا القانون :

« يستطيع الحـاكم العسكري ان يرفض الترخيص بانشاء جريدة او اية مطبعة دون ان يبين اسبابا بذلك ... وله الحق ان يتخذ الاجراءات اللازمة ، وان يمنع اتخاذ اية اجراءات تخالف قراره » .

وسنذكر هنا بعض المواد الواردة في قانون الطوارىء والتي تتدخل بشكل سافر في الحريات الاساسية للفرد . ان المادة ١٠٩ من هذا القانون تعطي الحكام العسكريين السلطات الكامـلة لتقييد حرية الافراد . انها تنص على ما ياتي :

« يستطيع الحاكم العسكري ان يامر اي شخص بما يلي :

١ ــ ان يضمن وجوده في المناطق المرخصة والمسموح بها .

٢ ــ ان يحدد تحركاته ويبلغها الى الجهة او الشخص الذي ينص عليه القانون .

٣ ــ منع او تقييد ملكية الشخص لاي نوع من الحاجيات التي يحددهـا الحاكم العسكري .

٤ ــ فرض اية قيود عليـه فيما يتعلق بطبيعة عمله ، بارتباطـه او اتصاله باشخاص اخرين ، وبالنسبة لنشاطاتـه الخاصـة بالتعليق عـلى الاخبار وبالتعبير عن آرائه » .

وتمنح المادة ١١٠ الحكام العسكريين سلطة اصـدار اوامـر « الاشراف البوليسي » . تنص المادة على ما يلي :

١ ــ يستطيع الحاكم العسكري ان يأمر بوضع اي شخص تحت رقابـة البوليس لفترة لا تزيد عن سنة واحدة.

٢ ــ كل شخص يخضع لرقابـة البوليس يكون خاضعا في نفس الوقت لما ياتي :

أ ــ يطلب منه ان يسكن في مكان ما داخل اسرائيل يحدده الحـاكم العسكري .

ب ــ لا يحق له ان ينقل مكـان سكنه الى اي مكان اخر ضمن نفس المقاطعة الا باذن خطي من رئيس قسم البوليس في القطاع ، او باذن خطي من المدير العام للبوليس اذا انتقل الى مكان ما خارج القطاع .

ج ــ لا يحق له ان يترك قريته او مدينته الا باذن خطي من رئيس البوليس في القطـاع .

د ــ يجب ان يبلـغ رئيس قسـم البوليس في القطاع والبوليس الموجود قرب مكان اقامته بالمكان الذي يسكن فيه وعنوان البيت .

هـ ــ يجب ان يكون جاهزا ليقدم نفسه للبوليس في اي وقت ومهما كانت الاسباب واذا طلب منه اي ضابط ذلك.

ز ــ يجب ان يبقى داخل بيته بعد مرور ساعة على مغيب الشمس وحتى الصباح ، ويحق للبوليس ان يزوره في بيته في اي وقت » .

وتعطي الفقرة الثالثـة الحكـام العسكريون الحق باصـدار اوامـر « حجز كيفي » وتنص على ما يلي :

« يستطيع الحـاكم العسكري ان يوجه امرا باعتقال اي شخص في اي مكان يحدده الحاكم » .

اما المادة ١٢٥فتعطي الحاكم العسكري الحق باعلان الاحكام العرفيه عـلى بعض اجزاء اسرائيل .

ان قانون الطوارىء الصادر عام ١٩٤٥ الذي اعتمدت عليه المحكمـه العليا في القدس هو قانون ارهـابي استعماري في نصه وروحه . لقد صدر هذا القـانون بواسطـه الانتـداب الانكليزي لكبت كل حركة تدعو للحريه القوميه .

ان هذه القوانين تلغي بشكل مباشر او غير مباشر جميع الانظمه الاخـرى وتسحق وتدمر جميع الحريات الفرديه للمواطن وتتركه مقعدا شقيا . لقـد فرضت هذهالانظمه الدكتاتورية القاسيه تقييدا شديدا على حريه الصحافـة والكلام والتعبير والاجتماع .

ولقد قوبلت هذه القوانين بمعارضة شديدة واحتجاجات صريحة منذ اعلانها من قبل العرب واليهود . ففي ٧ شباط ١٩٤٦ عقد اجتمـاع لمعارضتهـا في تل ابيب . لقد حضر الاجتمـاع ..٤ محامي يهودي منهم من يحتل مراكـز مرموقة الان .

وقد قال الدكتور دونكلبوم ، الذي عين فيما بعد عضوا في محكمة العدل العليا ، في الاجتماع :

« هذه القوانين تشكل تهديدا دائما للمواطنين ، ونحن كمحامين نرى فيهـا خرقا فاضحا للمبادىء الاساسيـة للقانون والعدالة والنظـام . هـذه القوانين تحرم المواطنين من حقوقهـم وتعطي السلطات قوة غير محدودة » .

وفي معرض هجومه [illegible] عـلى القوانين ، ذكر بعدئذ مباشرا ، المدعي العام لحكومه اسرائيل ، قال خـلال الاجتماع :

« ليس لهذه القوانين مثيل في اي بلد متحضر ، ولا حتى في المانيا النازيه ، قد يوجد مثلها في بلد مستعمر . تدعي الحكومه ان هذه القوانين موجهة ضد المجرمين فقط ، الا ان اية سلطة لا يمكن ان تسمح لنفسها بنشر مثل هذه القوانين غير الانسانيه . »

وفي نهاية الاجتماع اتخذت القرارات التاليه :

« ١ ــ قوانين الطوارىء تحـرم المواطنين من كافه حرياتهم الاساسية.

٢ ــ قوانين الطوارىء تشكل تهديدا دائما لاسس القانون والنظام ، وهي خطر ضخم على حريه الفرد وحياته ، وتفرض عليه حكما دكتاتوريا .

٣ ــ يطلب المؤتمر الغـاء هـذه القوانين » .

كثير من قادة اسرائيل كانوا اعداء لدودين لتلك القوانين . حقا ، كان من المفروض أن تلغي اسرائيل تلك القوانين فور قيامها ، لكن الحكومة الاسرائيلية ابقت عليها وطبقتها بوحشيـة ضـد العرب في اسرائيل ، فقط ضدهم .

دون حياء من موقفهم المخزي ، تجرا الصحافة الصهيونية واجهزة الاعـلام الرسمية في اسرائيل على نقد الاوضاع الداخليه لبعض البلدان الاخرى ، بينما الاوضاع في اسرائيل نفسها محزنة . ان السلطات تشن حملة جارفة مـن الارهاب والتنكيل والتمييز ضد العرب اصحاب الحق الشرعي في البلاد .

ان بعض الامل الذي راود تفكيرنا والثقة في محاكم العدالة ، قد انبعثت اثر صدور حكم محكمة العدل العليـا ضد منظمة « الارض » . ذلك الحكم ، الذي اثار غضب كل المواطنين ذوي الضمير الحر ، كان ضربة مميتة لحرية الفرد وحرية الصحافة . ان لامبالاة اليهود لرجاء المواطنين العرب ، الذين يقاسون وحدهم من قوانين الطوارىء ومن الحكم العسكري ، تتطلب تدخـلا فعالا من الامم المتحدة . على الامـم المتحدة ان تعالج بسرعة كافة المبررات العرب في اسرائيل وان تحمي حقوقهم.

تامل الحكومة الاسرائيلية ، بالضغط والارهاب ، ان تخلق بين العرب في اسرائيل حالة مـن الرعب والحـيرة والاستسلام . اننا نعلن ان هذا لن يتحقق . اننا مصرون على مقاومـة الارهاب وعلى النضال المتصلب مـن اجل حقوقنا ، ويجب الا يغيب عـن الاذهان ان هذه التصرفات الحمقى لا تقود الا للحقد والعداء .

وتامل الحكومـة ايضـا انفجـار مظاهرات دموية مـن قبـل العرب ، لاستعمالها حجة تبررها للراي العـام العالمي الضربات المميته للاقليـات . مرة اخرى نعلن ان السلوك المكيافيلي سيترتب عليه مضاعفـات عديدة حتى خارج حدود اسرائيل ، وانه حتمـا سيحرك العالم العربي كله وكافـة الشعوب المتحررة .

اننا ندين اسرائيل لكافه سياساتها الغير القانونية . عليها ان تتحمل كل المسؤوليه وكافه المضاعفات ، تشاركها في ذلك الامم المتحدة اذا استمرت في الجمود والتخاذل . ان مصير ٢٦٢،٠٠٠ من العرب في اسرائيل ليس موضوعا تافها ، انه موضوع يمس العدالـة والعقل والمنطق .

ان الهدوء والسـلام في المنطقه ، وكذلك المصير المجهـول لاسرائيل ، يعتمد على سلوك قادة اسرائيل وحدهم.

مجلس المديرين
منظمة الارض

■ « سمينا انفسنا "الارض" رمزا لتراثنا الخالد الذي تملكناه كعرب عبر الاجيال ! »

■ "والارض تؤمن بأن العرب في اسرائيل هم جزء لايتجزأ من الفلسطينيين الذين هم جزء من الأمـة العربيـة »

■ "اذا كانت اسرائيل تعتقد انها ستخلق حـالـة استسلام بين العرب فنحن نعلن لها هنا ان هـذا لـن يتحقق »

■ "اننا نحمل اسرائيل والامم المتحدة مسؤوليـة كافة المضاعفات .. فمصير ٢٦٢ الف عربي ليس موضوعا تافهـا »

[illegible] في اللواء الشمالي ،
[illegible] ائيل (٢٣٠٠) مستعمرة
([illegible] ٨٠٠) مدينة ،
[illegible] يشكلون (١٢٣,٩٠٠)
[illegible] ٪ من مجموع السكان
[illegible] سنة يشكلون ٣٥ ٪
[illegible] ٪ بين الحضاري ،
[illegible] ائيل ، كما كان [illegible]

الوضع حتى نهاية سنة ١٩٦٣ :

١١ ــ ٤٠ ٪ من يهود اسرائيل هاجروا اليها قبل سنة ١٩٤٨ ، و ٢٩ ٪ هاجروا اليها خلال سنتي ١٩٤٨ ــ ١٩٥١ ، و ١٨ ٪ هاجروا اليها خلال سنتي ١٩٥٢ ــ ١٩٦٢ .

١٢ ــ معدل الحياة في اسرائيل بين الذكور اليهود ٧١ سنة ، وبين الاناث ٧٣ سنة .

١٣ ــ معدل عمر الزواج في اسرائيل ٢٢ سنة .

١٤ ــ معدل العمر لانجاب الوليد الاول ٢٢,٥ سنة .

١٥ ــ معدل الخصب لدى المرأة اليهودية ٣,٢ ، ولدى المرأة غير اليهودية ٧,٨ .

وهذا [illegible] سيزداد السكان اليهود ٦٠ ٪ تقريبا زيادة طبيعية ، [illegible] يزداد السكان غير اليهود ٢٦٠ ٪ تقريبا

١٦ ــ معدل التوالد بين اليهود اخذ بالهبوط المستمر ، وخاصة بين المهاجرين من آسيا وافريقيا . ومعدل الخصب بين النساء المهاجرات من اوروبا ٢,٣ .

١٧ ــ تم في اسرائيل ١٤,٧٣٧ عقد زواج في سنة ١٩٦٢ . ويشكل الزواج المختلط بين المهاجرين من الدول الاوروبية والمهاجرات من الدول العربية ١١ ٪ فقط من مجموع هذه العقود وكان يجب ان يكون ٥٠ ٪ .

اسئلة واجوبة

في آخر حلقة من سلسلة محاضراته الثلاث عن الحركة الصهيونية ، في الولايات المتحدة اجاب الدكتور فايز صايغ اجابات سريعة ، موجزة ومكثفة ، على اسئلة المستمعين الذين احتشدوا باعداد غفيرة في قاعة المحاضرات

وتسجل فلسطين فيما يلي الاسئلة والاجوبة لانها تضع تحديدا ممتازا ومكثفا لمواقف سليمة تجاه عدد من اهم القضايا التي تطرح عادة اثناء مناقشة المسالة الفلسطينية .

سؤال : لماذا توجه الحركة الصهيونية جل جهودها للولايات المتحدة الاميركية ؟

● جواب : لان يهودها هم اغنى يهود العالم .

سؤال : هل لاسرائيل اي دخل في طلب قوات الطوارئ الدولية في غزة ؟

● جواب : نعم — لتظهار العدوان الاسرائيلي عام ٩٥٦ وكمنه دفاع عن النفس .

سؤال : قيل ان الكاردينال بيا هو المحرك الاول لتبرئة اليهود من دم المسيح . ما هو تعليقك ؟

● جواب : اعتقد ان الحركة الصهيونية هي المحرك الاول ، والدافع الاساسي لاصدار مثل هذه الوثيقة .

سؤال : هل تعتقد انه بتغيير وجهة النظر الاميركية تجاه القضية الفلسطينية سيحلها لصالح العرب ؟

● جواب : كلا ، ونحن لا نريد الحل عن هذا الطريق .

سؤال : هل العرب هم الاعداء الوحيدون للصهيونية ؟

● جواب : كلا ، ان اول اعداء للصهيونية هو اليهودي الذي يهدف الى الاندماج في البيئة غير اليهودية التي يعيش فيها .



تتمات

ص ٣ —

نتبادل فيها المصالح — مثلا لقاء مساعدة امركا لها ، وتستغل اتصالاتها ورجالاتها في العالم الشيوعي لاعمال التجسس والتخريب بل ولاشعال الثورات (ثورة المجر) ، لقاء مساعدتها لالمانيا في استبقاء الدعم الاميركي لاعادة توحيد المانيا ، ولتسليحها بالاسلحة الذرية . من خلال صفقة كصفقة القوة النووية المختلطة ، تحصل من المانيا على التعويضات ، ومن ثم على السلاح ، وقبل ذلك — لقاء مساعدتها للاتحاد السوفياتي في الحصول على الاسرار الذرية ، استطاعت في فترة ما ان تنتزع منه نصوصا في جانب التقسيم عام ١٩٤٧ ومن ثم اعترافها بقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ . الا ان ارتماءها في احضان امركا بعد ذلك لحاجتها المستمرة الى مساعدتها المالية والعسكرية ، ومغازلتها لالمانيا ، وحيلها الخرجية تبعا لذلك في دول المعسكر الغربي ، دفعت منذ وقت ما ، الحوار الايجابي بينها وبين الاتحاد السوفياتي . الا انها من جانبها اعربت مرارا عن الرغبة في استئناف هذا الحوار ، والظاهر انها لم تنجح .. لانه ليس لديها ما تقدمه في المقابل ، من جهة ولان المساعدة العربية — اي مساعدة الجمهورية العربية المتحدة — اوجدت حوارا اعمق ، ووحدة اقوى ، مع الاتحاد السوفياتي .

[illegible] والحضاري الذي في العالم .

فاذا تستطيع السياسة ان تفعل ؟ تستطيع ان تحجب عن اسرائيل بعض الموارد وتسد عليها بعض الامكانات . ولكن موارد اسرائيل ليست محصورة برقعة الارض التي تحتلها فلسطين ، بل ذلك جانب من مواردها . اسرائيل افعى ذات رؤوس متعددة ، احدها في ارضنا المحتلة ، ولكن بينها راس في نيويورك ، وراس في لندن ، وراس في باريس ، وراس في طهران .

وبالتالي فان ما تمنعه السياسة العربية عن اسرائيل من الموارد ، يعوض عليها ، بشكل او باخر من احد مراكز وجودها .

ان اسرائيل لم تتراجع عن مكسب حققته طيلة السنوات التي انقضت منذ تاسيسها واستدارت حول العقبات التي وضعناها في طريقها . ورغم المقاطعة مثلا ، استطاعت ان توسع اقتصادها .. وتستوعب المهاجرين اليها ، وتوفر اهم العمل ، واخذت تقترب من موازنة اقتصادها على المستوى المعيشي الذي حددته لنفسها ، اي دون تضحية بمستوى المعيشة (تستطيع في اي لحظة تحقيق هذه الموازنة اذا ارتضت تخفيض مستوى المعيشة) .

وزادت سكانها وقوتها ، وتقدمت في تكنولوجيتها ، ووصلت الى نقاط كثيرة في افريقيا ، رغم محاولتنا منعها او اخراجها ، وشقت ممرا في خليج العقبة .. وانشأت انبوبا للبترول بين العقبة وساحل البحر الابيض المتوسط ، ومدت على مياه الاردن ، وحولت بالفعل — حولت — جانبا منها الى النقب ، واستولت على مواقع كثيرة من الاراضي الحرام والمجردة السلاح على طول خطوط الهدنة .

ان العمل السياسي قادر على ان يضايق اسرائيل ويزعجها بدون شك ، ولكنه لا يستطيع اكثر من ذلك . والدول تستطيع ان تبقى ، بل وان تحقق المكاسب ، رغم المضايقة والازعاج .

غير ان هناك وجها ثانيا لمنطق العمل السياسي لا بد من استعراضه . نتصور ان هذا المنطق يضع المسالة على الشكل التالي : ان هدف العمل السياسي الديناميكي هو ضرب حصار حول اسرائيل يمنعها من التوسع . فاذا استطعنا بالاستعداد الدائم ، وتأمين التفوق العسكري — السياسي ان نمنع اسرائيل من التوسع ، واذا استطعنا ، في ظل الحصار ان ننمي اقتصادنا ، ومجتمعاتنا كلها ، ونسبها بالتغيير الثوري ، والتكنولوجي ، واذا استطعنا تحقيق نوع من الوحدة العربية تحكم النطاق حول اسرائيل ، وتضاعف امكانات التقدم العربي الثورية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، فاين تذهب اسرائيل ؟ ماذا تستطيع ان تفعل في رقعتها الضيقة ، وسكانها المحدودين . مهما كانت قوتها ، قوة الصهيونية العالمية من ورائها ، فستدرك في النهاية انها تورطت في وضع لا امل فيه .

ان اخطر ما في المنطق انه يبنى على افتراضات كثيرة لا تتحقق كلها . ولو تحققت كلها فما هي يا ترى نهايته السليمة ، انهايتها الافتراض الذي استعرضناه في اول البحث بان اسرائيل ستضمحل ، وتموت موت العجوز او المريض الميئوس ؟ اذا كان الجواب لا فالمعنى الحتمي قبول بوجود اسرائيل ولكن الخطر لا يكمن في نهاية هذه السلسلة ، بل في كل حلقة من حلقاتها .

اسرائيل وجود ديناميكي لا اخلاقي ، متحفز دوما للانطلاق . وعصرنا التكنولوجي مليء بالمفاجآت بيد اسرائيل ، قبل ان تقع بايدينا . وعلينا ان نتاكد بيقين ما بعده يقين ، انه اذا حصل ذلك فستستغل اسرائيل هذا الوضع استغلالا كاملا لتحقيق مزيد من اهداف التوسع وضرب الوجود العربي .

ان المنطق السياسي المتقدم لا يفترض ان العرب سينتهزون فرصة تلوح لحظة من الزمن لضرب اسرائيل عسكريا .. انه موقف سياسي صرف . ولكن من المؤكد ان اسرائيل متحفزة دوما لانطلاق عسكري . واذن فان مزيج الصدف والمفاجآت قد يهيء فرصة لاسرائيل لتقضي علينا ، دون ان ننتظر منه ان يهيء فرصة تلوح لنضربها نحن ونقضي عليها ، لانه بحكم التعريف موقف سياسي غير عسكري . ان الذي يتعين فرصة ليقتل قد تتهيأ له الفرصة ، فيقتل وينتهي الامر . اما الذي يحتاط لبقي فحسب ، فقد يساعده الحظ الطيب فيبقى فحسب ، او تحصل عنده غفلة او تراخ ، او ثغرة لم يحسب لها حساب ، فلا تنفعه الحيطة .

ان من يعمل بعقلية «قاتل او مقتول» كما تعمل اسرائيل ، دون شك ، لا يجابه بالحيطة وحدها ، وانتظار فعل الزمن . ومن احتاط — فحسب ، في مواجهة من يعمل بعقلية « قاتل او مقتول » ، فلا يظنن ان الزمن في جانبه . اذا نجا فانما ينجو بحسن حظه ، وان قتل فانما يقتل بتدبير خصمه . —

برهان الدجاني

ص ٥ —

يتبع فيها اليهود هذه السياسة لافساد عقائد الناس واستغلالهم .

وبناء على هذا الامل الذي يحقق بعد رتب المجمع المسكوني نتائج لها صبغتها الدينية والسياسية عندما قال : لهذا يجب على الجميع ان يراعوا ، سواء عند تلقين الدين المسيحي او نشر كلمة الله او في المحادثات اليومية عدم اظهار الشعب اليهودي كانه ملعون او القيام بما يباعد بين الناس وبين اليهود . ويجب بالاضافة الى ذلك ان نحرص اشد الحرص الا نعزو الى يهود عصرنا ما ارتكب من اعمال امام عذاب السيد المسيح .

وهكذا فتح الباب على مصراعيه امام الحركة الصهيونية لتشهر بكل انسان يجرؤ ان ينقد الشعب اليهودي ، او اسرائيل ، او اي فرد من افراد اليهود، وستشهر كذلك باي فرد يتخذ موقفا سلبيا من الامور اليهودية لان هذا الموقف يباعد بين الناس وبين اليهود . وهكذا سيظهر الى الوجود اصطلاح جديد مماثل لاصطلاح اللاسامية وتستغله الحركة الصهيونية كما استغلت اللاسامية من قبل . ان المسكوني وستنسب اليه الكراهية لليهود ، وستعقد المؤتمرات الكاثوليكية الصهيونية المشتركة واجرؤ كاثوليكي واحد يدعي لهذه المؤتمرات ان يتخلف وخصوصا اذا كان من رجال الدين او السياسة .

والامر الذي يلفت النظر في صياغة العبارة الخاصة بتبرئة ابناء هذا الجيل من اليهود من دم السيد المسيح ان هذه العبارة عندما اشارة الى اعمال التعذيب تعمدت التجهيل بالشعب الذي ارتكبها ذلك ان الوثيقة قد استعملت فعل ارتكب المبني للمجهول ، مع لا جدال في ان اليهود هم الذين ارتكبوا اعمال التعذيب هذه . وهكذا يتسع المجال للحركة الصهيونية لتؤكد ان الرومان القدماء الوثنيين ، لا اليهود ، هم المسؤولون عن تلك الافعال نظرا لانهم هم الذين كانوا يحكمون فلسطين حينئذ . وسيستغلون في سبيل الترويج لهذه الفكرة او ما شابهها كل ما لديهم من وسائل اعلام ودعاية ، كما سيستغلون عدم تعمق غالبية الناس في معرفة ما جاء بالكتاب المقدس . واذا تجرا احد وقال ان اليهود هم الذين عذبوا السيد المسيح فانه بعد هذه الوثيقة التي تعمدت عدم الاشارة الى اليهود في هذا المقام ، سيتهم باثارة الحقد والكراهية ضد اليهود .

وقد تعمدت الوثيقة في كل مناسبة ان تستعمل عبارة الشعب اليهودي ولن تفوت على الحركة الصهيونية فرصة استغلال هذه العبارة في وجه كل من يشكك في وجود هذا الشعب ووصف ابنائه بانهم اتباع دين فقط وانهم لا يكونون شعبا بالمعنى السياسي الحديث وستستعمل الحركة الصهيونية هذا السند لا ضدنا فقط وانما ضد المنشقين على الحركة الصهيونية من اليهود .. فكيف يجوز لليهود الا يعتبروا انفسهم شعبا واحدا وكاثوليك العالم يعدون حوالي ٦٠٠ مليون نسمة يعتبرونهم كذلك .

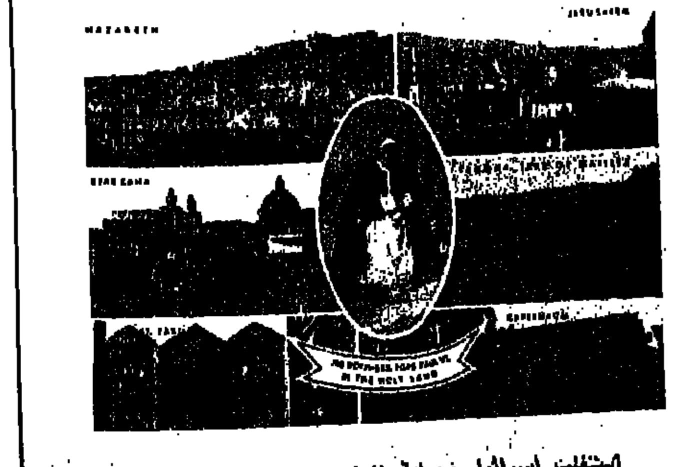
لقد اشرنا فيما سبق بايجاز الى بعض النواحي التي ستستغلها الحركة الصهيونية في دعايتها ونشاطها . في هذا ستضرب على اوتار مختلفة وتسلك مسالك متعددة وستحرف الكلام عن مواضعه وستلجأ الى كافة الاساليب من مصادقة الى اغراء الى تشهير الى تهديد . انها لن تقف عند حد في استغلال هذا الكسب السياسي مهما كانت نية لا اخلاقية لا تتورع عن شيء ولا تقف واضعي الوثيقة . فالصهيونية حركة عند عمل .

وقد حاول البعض عن حسن نية دون شك بمنطق الشرفاء ان يستخلص ان البيان المسكوني قد يكون في صالح العرب وضد الصهيونية مستندا الى ان الحقد والكراهية اللذين تعيش عليهما الصهيونية قد نسجهما البيان ، وان في استطاعة اليهود الان ان يعيشوا حيث هم في سلام وامان . ان هذا المنطق الشريف يتجاهل طبيعة الحركة الصهيونية واهدافها ووسائلها . فالثابت ان الحركة الصهيونية ذاتها تصطنع حوادث الحقد والكراهية اذا رات ضرورة لذلك .. انها لا بد منها من اجل تحقيق اغراضها . ان نشر الكراهية لليهود لتحملهم على الهجرة الى اسرائيل . والحركة الصهيونية علماء متخصصون في هذا المجال . وباصطناع هذه الحوادث ستطيع الحركة الصهيونية او تؤكد اليهود انه لا راحة لهم ولا حرية الا في اسرائيل وان الوثيقة المجمع المسكوني لم تحدث التغيير المرتقب في نفوس الناس .

اننا لا نستطيع ان نطبق منطق الشرفاء بالنسبة الى الحركة الصهيونية .. والمهم في الموضوع ليس ما نعتقده نحن في الوثيقة وانما كيف ستستغلها اسرائيل والحركة الصهيونية . وفي استغلالها ذاك لا مجال للالتزام بمبادىء اخلاقية . فالحركة الصهيونية هدفها دعم اسرائيل بعد ان قامت وتهجير اليهود اليها ، وفي سبيل هذا الهدف لا يقف اي اعتبار او مبدا او خلق .

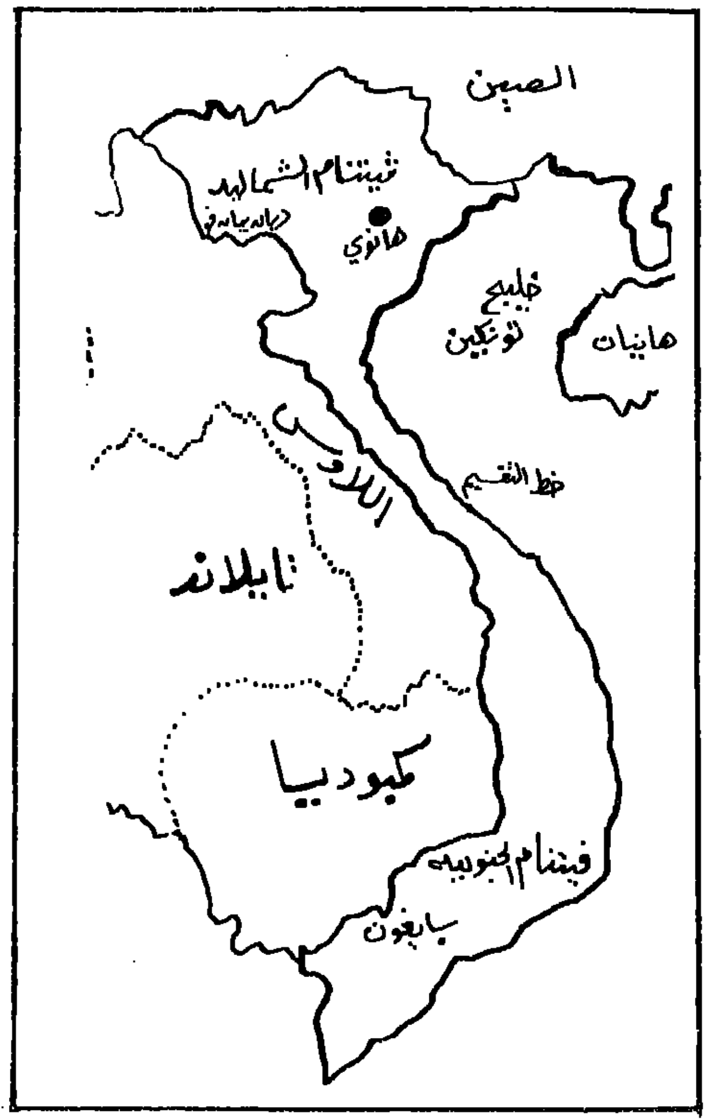
ويجمل بنا الا نكون بسطاء حسني النية الى هذا الحد ونحن نقف وجها لوجه مع حركة معقدة ملتوية سوداء النية .

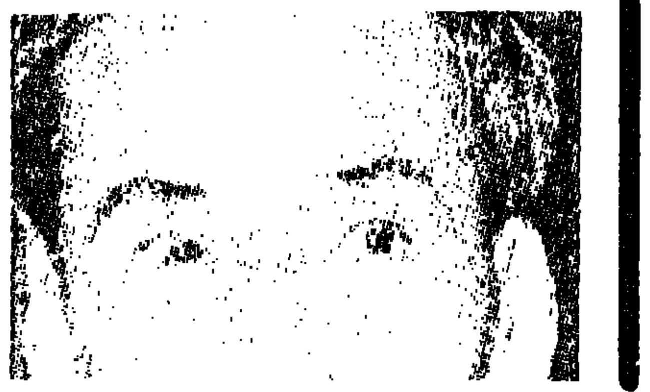
العدد القادم : مناورات اسرائيل مع الفاتيكان



استغلت اسرائيل زيارة البابا للاراضي المقدسة الى ابعد حد .. واغرقت العالم بصور من هذا النوع .

فن حرب العصابات كما سجلته تجارب الفيتنام





هذا هو البحث الثاني في نطاق الدراسات الموجزة التي تقدمها فلسطين عن تجارب حروب العصابات في العالم ، وهو بحث كتبه احد كبار قادة حروب العصابات في الفيتنام التي ادت الى طرد فرنسا في الهزيمة التاريخية الشهيرة .

ان فلسطين ترغب في ان تكرر ، مرة اخرى ، اعتقادها بان الاستفادة من هذه الابحاث يكمن في اخذ طبيعة المعركة الفلسطينية وشخصيتها بعين الاعتبار اثناء الاستفادة من تجارب حروب العصابات العالمية .

في البلد المحتل والمتاخر حيث يشكل الفلاحون القوة الرئيسية بين السكان ، يجب ان يتكون جيش التحرير بعناصره الاساسية من الفلاحين .

في هذا البلد المتاخر لا توجد عادة قوة عسكرية فعالة ، انما توجد مجموعات من المقاتلين تمتلك اسلحة عادية ، ولا تمتلك خبرة حربية ، بينما يمتلك العدو قوة حربية واقتصادية رئيسية .. ففي الفيتنام كانت الولايات المتحدة الاميركية تشكل السند القوي لقوات الاحتلال الفرنسي .

ولهذا فان حرب التحرير في الفيتنام كان مقدرا لها ان تكون حربا قاسية وطويلة الامد لتؤدي الى النجاح في خلق الظروف المؤدية الى النصر . ان المفاهيم التي انبعثت من تياس وهدفت الى تحقيق نصر سريع ، ان هذه المفاهيم هي مفاهيم خاطئة جملة وتفصيلا . لقد كان من الضروري تبني استراتيجية مقاومة طويلة المدى للمحافظة على وزيادة مناعة المقاتلين ، بينما نقوم في نفس الوقت بنهش وتحطيم قوى العدو تدريجيا . لقد كان من الضروري ان نجمع الف انتصار صغير لنحولها الى انتصار واحد عظيم ، لقد كان من الضروري ان نغير بالتدرج ميزان القوى ، ان نغير ضعفنا الى قوة ، وان نقود قواتنا الى النصر الحاسم .

ان استراتيجية تستند الى مدى طويل لا بد وان تتضمن عدة مراحل بدءا بمرحلة المناوشات انتهاء بمرحلة الهجوم المضاد مرورا بمرحلة التوازن . اما الطريقة التي يمكن بها اخراج هذه المراحل الثلاث ، فهي غامضة ومعقدة وتعتمد في الواقع على الظروف الخاصة التي تقع للطرفين خلال سير العمل .

ان الحرب طويلة الامد هي السلاح الوحيد الذي يجعلنا نستفيد الاستفادة القصوى من مناوراتنا السياسية ودعايتنا في الخارج ، ان نتغلب على صعوباتنا المادية ، وان نحول ضعفنا الى قوة .

لقد كان مبدأ الحفاظ على زيادة عدد قواتنا هو المبدأ الرئيسي الذي التزمنا به تماما . لقد اكتفينا بالهجوم حين كنا نتاكد من ان النجاح حليفنا ، وكنا نرفض الانغامر في عمليات طائشة . لقد كان واجبنا ان نبني قوتنا من خلال الكفاح اليومي .

ان اسلوب القتال يجب ان يتكيف مع الظروف .. كان علينا ان نرفع من روح طلائعنا الى اقصى حد ، وان نعتمد على بطولة قواتنا لنتغلب على التفوق المادي للعدو . كانت حرب العصابات هي افضل اسلوب للقتال في الضواحي والاماكن البعيدة . لقد ادت هذه الحرب الى نجاحات كبيرة في معركة التحرير .. كان ممكنا ان نشغل حرب العصابات في الجبال، في الساحل، او في السهل باسلحة عادية او جيدة ، وبدون اسلحة في بعض الحالات .. وكانت تمكننا ان نجهز انفسنا من العدو نفسه . لقد كان لكل اقليم قواته التي تحارب تحت امرة مركز المنطقة في ذلك الاقليم .. كانت قوات العصابات تعمل جنبا الى جنب مع القوات النظامية لتنهك العدو .

ومع مرور الوقت تحولت حرب العصابات الى حرب نظامية ولكن مع الاحتفاظ بتكتيك العصابات .. وفي هذه الاثناء كان الجيش ينمو ويكبر بالعدد والعدة .

لقد برهنت الحرب ، ومن الناحية العسكرية ، ان جيشنا غير مجهز كما يجب تجارب من اجل قضية عادلة قادرة بالاستراتيجية والتكتيك المناسبين ، ان تقهر الجيش الحديث .

في ادارة حرب في بلد متخلف وادارة طويلة من الوقت تبرز قضية بناء قواعد خلفية .

تعتمد حرب العصابات على مجموعة من المبادىء الاساسية من بينها :

١ — تجنب العدو حين يكون قويا والهجوم عليه حين يضعف .

٢ — التفرق الفوري ، التجمع السريع ، الابادة السريعة للعدو .

٣ — الاستعداد للحرب في اي مكان بحيث انه حيثما يذهب العدو يجد جيشا من المقاتلين .

ولقد بذل العدو عدة محاولات ضخمة جدا ليقف في وجه نشاطنا المتزايد عبر هجمات منظمة بقوات ضخمة جدا ليقضي على وحداتنا المقاتلة ، ليحطم قواعدنا السياسية ، وليتلف ممتلكاتنا .

وذلك يعود الى ان حرب العصابات من الناحية الاستراتيجية ترهق العدو وتصيبه بخسائر كبيرة . ولكن ، حتى نتمكن من تدمير قوة العدو وتحرير ارضنا ، فان حرب العصابات يجب ان تتحول تدريجيا الى حرب نظامية . لقد تشكلت قواتنا عبر الكفاح المسلح .. كنا نقاتل بوحدات صغيرة ، نستسلم لوحدات اكبر .. كنا نحارب في اماكن متفرقة ، واصبحنا نركز هجماتنا على نقاط رئيسية . لقد تحولت حرب العصابات الى نوع جديد من الحرب يمكن ان نطلق عليه اسم « الحرب النظامية المتحركة » حيث تدور معارك حقيقية بتكتيك حرب العصابات .

ان هذا الاسلوب من الحرب يعني المقاتلة بقوات مركزة من الجيش النظامي على جبهة واسعة جدا ومهاجمة العدو حين يكون موقفه مكشوفا والتقدم بسرعة وعمق والانسحاب بسهولة وخفة . ان هذا النوع من القتال يتصف بالحركية القصوى ، والمبادرة ، والسرعة في اتخاذ القرارات في الظروف الجديدة .

ومع استمرار حرب المقاومة بدا الدور الاستراتيجي « للحرب النظامية المتحركة » ياخذ اهميته .. لقد كان هدف هذه الحرب تدمير اعداد كبيرة من قوات العدو اشد قوة .. وكان هدف حرب العصابات هو انهاك وتدمير احتياطي وقواعد العدو . لقد سار هذان النوعان من الحرب سويا اذ انه لا يمكننا ان نصد هجمات العدو الرئيسية وان نحمي قواعدنا ومناطقنا الحامية ونمتلك زمام المبادرة دون ان ندمر قوات العدو .. ان حرب العصابات يجب ان تتسع وتمتد وان تستفيد من جميع الظروف الجديدة التي تطرحها الحرب النظامية المتحركة .. وان الحرب النظامية يجب ان تضاعف سرعتها لتحطيم عدد اكبر من قوات العدو كما ويجب ان تخلق الظروف التي تساعد على مزيد من الانتشار لحرب العصابات . وعبر الكفاح المسلح اوجدنا نكسات عسكرية في مناطقنا الخلفية ، بدات تدور مع مرور الوقت وتحتل مكانة اهم .. ان علينا ان نحافظ على التوازن بين هذين الاسلوبين الحربيين .. لقد بدانا بحرب العصابات ، وبعد ان السبع بداها بدانا بالحرب النظامية المتحركة مواجبنا في هذه المرحلة هو ان نفسي التوازن قائما بين هذه الحرب وبين حرب العصابات .. في المرحلة الثانية وبعد بدء حرب العصابات بدات الحرب النظامية تاخذ دورها ولكن حرب العصابات بقيت هي الاهم وفي المرحلة الثالثة تقدمت الحرب النظامية المتحركة الى الامام، اما حرب العصابات فبالرغم من اتساع فعالياتها فانها اصبحت في المرتبة الثانية من الاهمية .

ولقد كانت هناك بعض المناطق المغلقة للعدو والتي كان من الصعب علينا ان نشن فيها حربا نظامية .. هنا كانت حرب العصابات هي الاسلوب الوحيد .

ان الحرب التي تعدل استراتيجية طويلة المدى وتقوم على التوازن بين حرب العصابات والحرب النظامية المتحركة هي التي حققت النصر في فيتنام على الفرنسيين .

ولقد كان العمل السياسي بمنتهى اهمية كبرى .. لقد كانت احدى مسؤوليات جيش التحرير هي البقاء على اتصال وتماس مع جماهير الشعب .. ان الشعب هو البحر والجيش هو السمك .. لقد حارب الجيش على الجبهة ولكنه عمل ايضا لتثقيف الجماهير وتوعيتها ومساعدتها قدر امكانياته .. لقد نظم الجيش حملات لمساعدة الفلاحين في عملهم الزراعي في ايام معينة في الاسبوع ..

كما وانه من الضروري ان تقوم هناك علاقات طيبة بين الضباط والجنود وبين الضباط انفسهم .. ان الجميع ضباطا وجنودا هم خدام الشعب ، هم اناس كرسوا حياتهم لخدمة اهداف الشعب .. صحيح ان لكل منهم مسؤولية محددة ولكن علاقات الاخوة والمساواة السياسية يجب ان توجد بينهم . على الضابط ان يحب جنوده .. يجب عليه ان لا يقودهم في عملهم ، انما يجب عليه ايضا ان يهتم برغباتهم وارائهم .

اما بالنسبة للجندي فعليه ان يحترم رؤساءه وينفذ اوامرهم بدقة .. ان حرب العصابات لا تعني الفوضى بل تعني المركزية الشديدة في القيادة والاوامر بالرغم من ان قادة الوحدات والافراد لهم الحق في التصرف وحدهم في بعض الحالات اذا وجدوا الظروف ملائمة ..

ان هذا الانضباط والاحترام لا يتنافى مطلقا مع الديمقراطية الداخلية في الجيش ..

ان التدريب العسكري والتوعية السياسية هي مهمات الجيش الرئيسية في اوقات السلم .. ان الانظمة الحربية وفنون التكتيك تكتسب اهمية خاصة في هذا المضمار .

لقد مارس جيش التحرير في الفيتنام الديمقراطية باشكالها التالية .

١ — الديمقراطية السياسية : كانت الاجتماعات تعقد على المنصب لمناقشة جميع القضايا الحربية والسياسية .. وفي هذه الاجتماعات يفتح باب الانتقاد والانتقاد الذاتي ليس من الضباط للجنود فحسب بل ومن الجنود للضباط ايضا .

٢ — الديمقراطية العسكرية . في اوقات القتال ، وفي اوقات التمرين كانت الاجتماعات الديمقراطية تعقد وتعرض فيها الخطط ويستمع فيها الى الاقتراحات وتذلل فيها جميع العقبات .

٣ — الديمقراطية الاقتصادية : لقد كان الجيش بضباطه وجنوده يشارك في الادارة المالية .. ان مالية الجيش هي لجميع افراده .

اما بالنسبة لتدريب الضباط فيجب ان يتم بالتنسيق مع القيادة المركزية . لقد كان الضابط يخسر ميلا في ميدان المعركة ويكتسب خبرة في اعداد جيش وفي قيادة معركة . ولكن بسبب وجود ضباطنا في ظل ظروف حرب العصابات فلا نزال ينقصهم تعلم الفنون الحربية الحديثة .

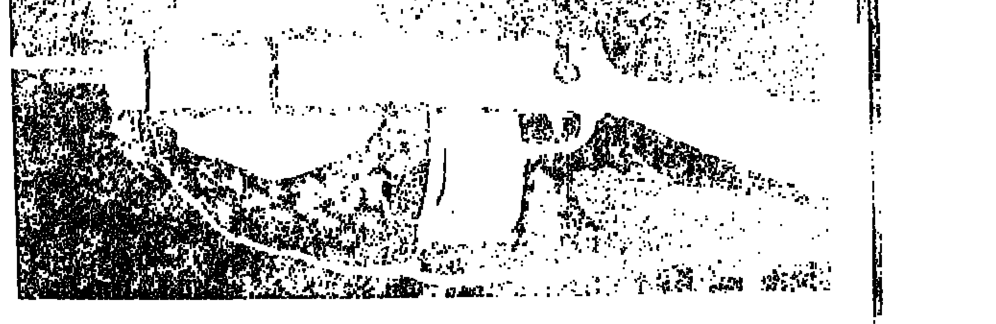
لقد كان من الضروري في راي القيادة ان جيش التحرير يجب ان يتضمن ثلاثة عناصر رئيسية :

١ — الميليشيا اي القوات الشعبية الموجودة في كل مكان .

٢ — قوات العصابات — في مؤخرة العدو .

٣ — القوات النظامية التي تتحمل مسؤولية شن الهجمات التدميرية على قوات العدو .

اما تتويج هذه الاستراتيجية فلقد كان في معركة ديان بيان فو .



العروس

قصة جديدة
بقلم
غسان كنفاني

عزيزي رياض ..

لا شك انك تقول الان انني قد جننت، فهذه ثاني رسالة اكتبها لك في يوم واحد ولكنني في الواقع اكتب لك هذه الرسالة الان كي اوضح لك امرا، لقد اكتشفت انه محض جنون ان اكتب واقول لك : ابحث معي حيث انت عن رجل طويل جدا، صلب جدا، لا اعرف اسمه، ولكنه يلبس بدلة خاكية عتيقة، ويلوح لاول وهلة كانه مجنون .

ماذا يمكن ان تفهم من ذلك كله ؟ لا شيء دائما، فالمرء يصادف في اليوم الواحد، اذا ما سار في الطريق، مائة رجل يحملون هذه الصفات، فاي واحد منهم تراني اقصد ؟

[illegible] انني ما زلت اذكره . وما زال [illegible] علي، من بين مئات الرجال الذين يقابلهم الانسان في الطريق كل يوم، ثم يذوبون من راسه ويختفون !.

ورغم ذلك فانا اعرف، هذه اللحظة، انك ما زلت تعتقد انني شبه مجنون فحتى الان لم يتضح اي شيء، وما زلنا حيث كنا في الرسالة الاولى : ابحث معي حيث انت عن رجل طويل جدا، صلب جدا، لا اعرف اسمه، ولكنه يلبس بدلة خاكية عتيقة ويلوح لاول وهلة كانه مجنون .

كل الذي اضفته هذه الصفات تلك الصفة المفقودة الجديدة : انه محاط بشيء اسمه الغبار المضيء !.

معك حق، ولكنني اكتب لك هذه الرسالة الثانية في يوم واحد لتعرف القصة بكاملها، ذلك انني رايت انه صار من حقك، وقد طلبت منك مشاركتي في البحث عنه، ان تعرف ما اعرفه .

لست اذكر بالضبط متى رايته لاول مرة، ولكنني اذكر تماما كيف رايته : مثل انسان ضيع شيئا كان يسير منحنيا بعض الشيء، بكفين مفتوحتين متحفزتين، وعينين تنقبان وجوه الناس كانهما محزنتين مليئتين، لقد بدا لي لاول وهلة وكانه مجنون، وحين مر بي نسيته، ولم اذكره الا حين رايته مرة ثانية، اقتلعتني عيناه فجاة واحسست نفسي اطوف فوق موجة تستدعي على الزوايا، ولست ادري الان ما اذا كنت انا الذي ذهبت اليه مسوقا بذلك النداء العميق المنبعث من عينيه كتيار لا يقاوم ام انه هو الذي جاء الي، وعلى اي حال فقد وضع كفه الكبيرة على كتفي وسال :

— هل رايتها ؟

— رايت ماذا ؟

— العروس ؟

وربما [illegible] انه مجنون، وان [illegible] عن العالم والمعقول، [illegible]

— كلا [illegible] العروس ..

وحين [illegible] يده من [illegible] الى جنبه واستدار، الا انني سمعته يقول، كانه [illegible]

— كلا [illegible] منذ عشر سنوات .

وحين ابتلعه الزحام، يا رياض، احسست بان جسده الضخم كان محاطا بذلك الشيء الذي يشبه الغبار المضيء، كما رسمته الوان كبار فناني عصر النهضة حول جسد الاله وهو يقدم عونه للفقراء على بطاقات الاعياد التي كنا نتلقاها معا .

وعبثا حاولت اللحاق به : ان مثل هذه الامور لا تحدث الا كلمح البصر، لقد نقبت الشارع صعودا ونزولا، قابلت مئات من الرجال الذين يشبهونه تماما، ولكنه، هو نفسه، كان قد اختفى !.

عنه، ابحث الان، وعنه ايضا اطلب منك مشاركتي البحث، اعرف انك تبعد عن هنا اكثر من الف ميل، ولكن ما الذي يمنع ذلك الرجل ان يسير، محاطا بذلك الضوء المجهول، اكثر من الف ميل وهو يبحث عن .. العروس ؟

★★★

قبل ان اسالك سالت غيرك، لم الجا اليك الا لانني، منذ رايته، الجا الى كل من اعرفه، استوقف كل من تربطني به ادنى علاقة واساله عنه، اصارحك القول يا رياض، لقد مضى بي الامر الى ابعد من ذلك .

ذات ليلة قلت لنفسي : اذا كان ذلك الرجل قد دأب على سؤال الناس عن العروس منذ عشر سنوات، كما قال، فان الشيء المؤكد تماما ان كثيرا من اولئك الناس الذين سالهم يتابعهم الان، ما يتابعني، وكنت اسير ذات يوم في الطريق حيث التقت عيناي بعيني عابر لا اعرفه، ودون ان اعرف ما الذي اغراني فعله مضيت الى الرجل فاستوقفته، ووضعت يدي على كتفه وسالته :

— هل رايت العروس ؟

ونظر الي هنيهة، كشيء مؤكد انه حسبني مجنونا فقال لي :

— كلا، لم ار العروس .

منذ ذلك يا رياض، وانا استوقف كل من اجد في عينيه انتظارا ونداء، اضع يدي على كتفه واساله :

— هل رايت العروس ؟

حسبني مجنونا، ولكن هذا هو الذي حصل، وقد استطعت، عن هذا الطريق ان اعرف الكثير عن الرجل، وعن « العروس » الضائعة، الا انني غير قادر على التخلص من تلك القوة المجهولة التي تدفعني نحو عيون العابرين لاسالهم عن العروس الضائعة .

الان دارت الدورة، او انا الذي درتها، لست ادري، ولا بد من ان اعود الى [illegible] الى ذلك الرجل المحاط [illegible] والسدي [illegible] من شفتيه وعينيه [illegible] كفه الثقيلة، سمعت ذات السؤال لاول مرة في حياتي، نعم، يا رياض، لا بد لي من [illegible]، فلدي اخبار عن « العروس ».

★★★

كان من قرية « شعب »، شابا لم يكن قد ضيع شيئا بعد، ولكنه لم يكن، عند ذاك، قد وجد اي شيء، ايضا .

لا بد ان قصته قد بدات في يوم ما من ايام حزيران الاولى عام ١٩٤٨، كان القتال الدموي قد استمر بلا انقطاع طوال اكثر من ستة شهور، وكان هو — وانا ما زلت اجهل اسمه — سيد الذين يندفعون الى القتال، هجوما كان امنجدة ام دفاعا الا انه كان يشترط ان يعرف موعد العمل قبل بدئه بساعتين على الاقل، كي يكون امامه متسعا من الوقت للتفتيش على من يقبل ان يعيره سلاحا، بندقية خديوية، او انكليزية، او حتى قنبلة يدوية .

وكانت الامور، على هذه الشاكلة، مقبولة من كافة الاطراف، فغالبا كان ياخذ معه الى الرجل الذي ينوي ان يستعير منه سلاحا رفيقا يتعهد امامه بان يعيد السلاح الى صاحبه اذا ما مات صاحبنا اثناء العمل، كان حريصا ان يتعامل معاملة مصارف محترمة، رغم انه لم يشهد في حياته مصرفا محترما او مصرفا، وهكذا فانه لم يواجه طوال تلك الشهور الستة مشكلة حقيقية في هذا المجال ولذلك لم يفكر بالحصول على سلاح خاص، وربما امتنع من التفكير بالحصول على ذلك السلاح الخاص بسبب عجزه عن شراء سلاح .

لم اعرف بعد من الذي زرع في راسه، في احد تلك الايام الاولى من حزيران، ان عليه الحصول على سلاح، وكان هذا الراي سليما تماما، فقد تركز القتال بصورة جادة في الجليل، والقى العدو ثقله هناك، وابتدات انهار المهاجرين تسيل في التلال نحو الشمال، وبدا كل شيء وكانه يقف على الحافة .

لا شك انه كان اصلب من ان يتردد كثيرا، فقبل ان ينتهي الاسبوع الاول من ذلك الحزيران كان قد فقد [illegible] بصورة ليس بالوسع زحزحتها، لقد سل مسلاحه في معركة لم اهتد الى اسمها بعد لاحد رفاقه ومضى يزحف تحت غيوم راعدة من النار، كان على يقين بان بعض جنود العدو في خطوطهم الامامية قد قتلوا، وانه لو انتظر الى نهاية المعركة لفقد فرصته، كان يعرف انهم يسحبون جنودهم بالحبال بعد انتهاء القتال .

وقد استطاع ان يصل بالفعل الى الخنادق المحروقة، كانت العتمة ثقيلة، ولكنه اسقط نفسه في احدى الحفر، وباسنانه فك يد القتيل عن بندقيته، وتفحصها هناك على ضوء الحرائق والانفجارات، ومضى عائدا الى رفاقه .

وسرى الخبر في كل القرى سريان النار، ليس لانها كانت الحادثة الاولى من نوعها ولكن لان البندقية التي جاء بها كانت بندقية نادرة .

لن اطيل عليك كثيرا، لقد استدعي في اليوم التالي الى القيادة التي كانت تعسكر في قرية مجاورة، كان الضابط قد سمع عن البندقية وحين شهدها امامه، بين كفي الرجل، فتح عينيه على وسعهما :

— هذه مرتينة تشيكية ..

وانحنى الواقفون ينظرون الى البندقية الجديدة والذي كان فولاذها يلمع تحت قنديل الغرفة : كان ذراعها ذا لون بني كامد، وكان حزامها الخاكي جديدا تماما، مجدولا بعناية لا تصدق، وكان مشطها الكبير يعلو زنادها كانه التاج .

وجاء صوت من طرف الغرفة الاخر :

— يبدو انهم تلقوا شحنة سلاح جديدة من الشرق، القيادة يجب ان تعرف ذلك .

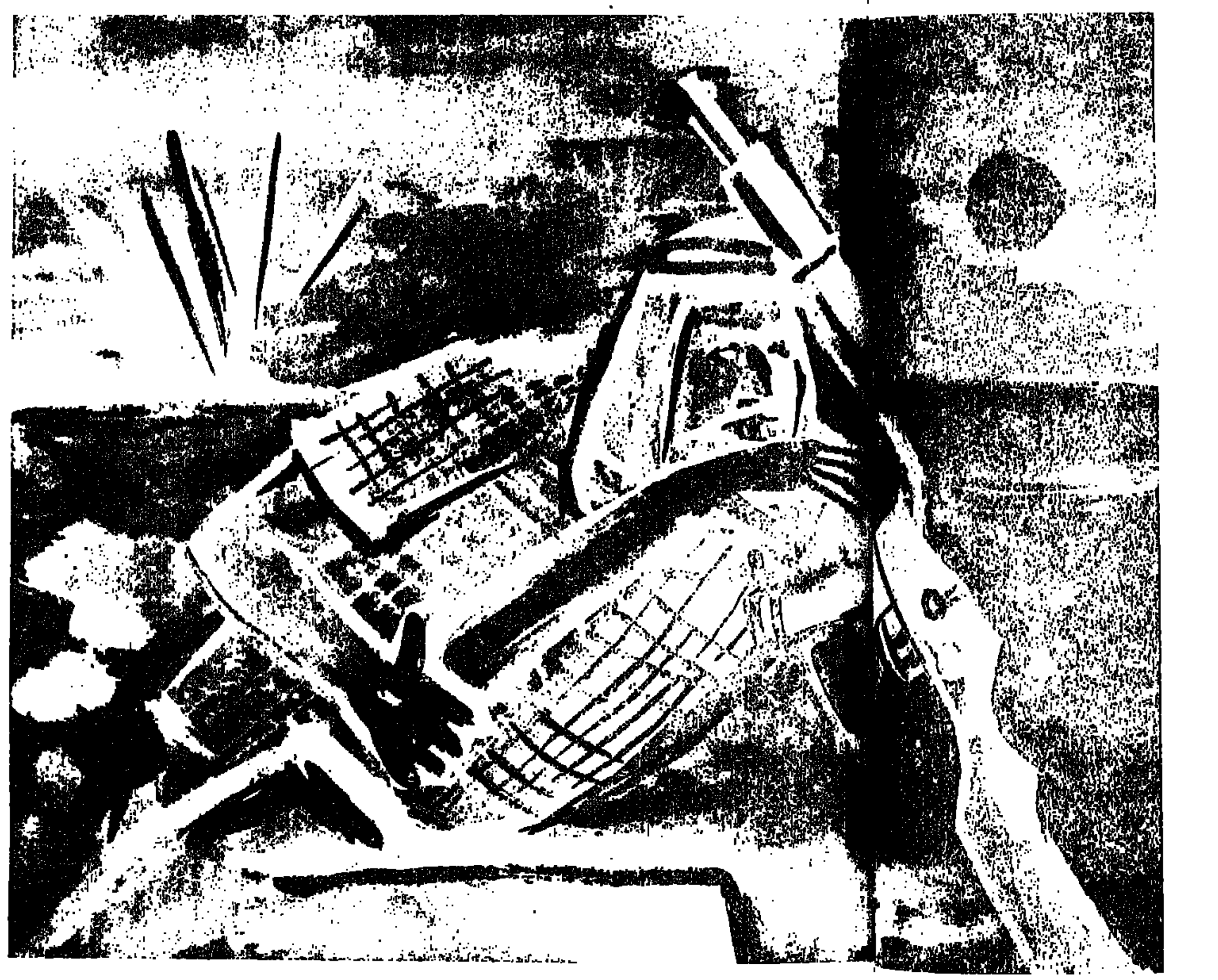
وهز الضابط راسه موافقا على ذلك الراي، وقرر :

— يجب ان اخذ هذه المرتينة الى القيادة .

تستطيع، يا رياض، ان تقدر ما حدث، لقد تمسك صاحبنا ببندقيته، ولكن الاوامر، كما تعلم، الا يصدقونكم دون ان تأخذوا البندقية؟ الا تستطيعون تقدير قيمة الوقت ؟ اذا شئتم ذهبت انا مع البندقية !.

ولكن ذلك كله لم يكن ليجدي، وكي يطمئن على بندقيته اقسم له الضابط ان يعيدها له، بامشاط اضافية، خلال يومين .

ومر اليومان، ومر الاسبوع، في ذلك الشهر الذي تتطاول دقائقه ويموت ناس وتسقط بلاد وتحترق مزارع وتولد في كل دقيقة حادثة جديدة من مركز القيادة الى الدار ومن الدار الى مركز القيادة، ضاربنا في الوعد والشول، انتظر الان وتعال غدا، ولكن الاحداث، كما لا شك تذكر في ذلك الشهر الحاسم، لم تكن لتنتظر .



وقد تساقط فوقه حدثان في يوم واحد: في الصباح قيل له ان الضابط قد نقل مركز قيادته الى الشمال، حيث لا يعرف احد، وفي المساء تلقت شعب الضربة الاولى، وحرثت قنابل المورتر بيوتها الطينية، واحرقت اغراس الزيتون في لحظة كانخطاف البصر .

من الذي سيعيره بندقية في ذلك الطوفان الذي لا تنفع فيه الا البندقية ؟ هي وحدها التي كانت تستطيع ان تحمل الانسان، عبر ذلك الموج، الى شاطيء النجاة او الى شاطيء موت شريف، ولذلك لم يكن امامه في ذلك الطوفان الفارق الا .. الا ماذا ؟ الا الجنون، طبعا، اذا صدقت انه لم يكن ليختار الفرار .

ولكنه لم يقبل الجنون، ولا اختار الفرار، وكان الموت هو الذي تبقى له، ولكن حتى الموت، خسره، هو الذي صرف كل ايام الحرب مقاتلا في اول صف، بسلاح معار، بين اسنان موت حقيقي جلس هناك في شعب على حجر، وسط الساحة، ينظر الى البيوت تحترق، والى الرجال يموتون، والى اهله ينسربون مع من انسرب تحت ظلمة ذلك الليل، الى حيث لم يعرف، ولا يعرف حتى الان .

وقد شاهدوه حين احتلوا شعب، وحسبوا كما حسبت انا انه مجنون، فضربوه باعقاب البنادق كي يغذ الخطى في الوعر، الى الشمال .

في طول ما تبقى من الجليل مضى، ليل نهار، يبحث عن بندقيته، من قرية الى اخرى، من مقاتل الى اخر، ينقب وجوه الناس والاشياء متعقبا اخبار البندقية التي لم يشهدها الا ساعات، والتي كانت محشوة بالرصاص، ولكنه لم يطلق منها رصاصة واحدة .

انت لا تعرف ماذا حدث في شعب، قليلون هم الذين يعرفون ذلك، ولكنه شيء ضروري ان تعرف ما الذي حدث هناك كي تدرك حقيقة القصة، لقد مضى هو صعودا، في قيظ لا مثيل له، الى البروة، ومن هناك الى مجد الكروم، الى البعنة الى دير الاسد الى كسرة الى كفر سميع، يتعقب اخبار بندقيته خطوة خطوة، من قصة الى اخرى، من رجل الى اخر، وحين وصل الى ترشيحا جاءته اخبار جديدة من شعب : ان الاربعين مقاتلا الذين تبقوا من رجال شعب ذهبوا الى قيادة جيش الانقاذ في الشمال ليعرضوا انفسهم كمقاتلين في صفوفه، وحين علموا ان خطة زحف الجيش لن تمر في شعب عادوا الى هناك، وفي ليلة واحدة انقضوا على قريتهم من جديد، واسترجعوها .

ستبدو لك الحادثة غريبة، ولكن هذا هو ما حصل، لقد عاد الاربعون مقاتلا فاسترجعوا قريتهم المحروقة وتعقبوا عساكر العدو الى قرب معرق دامون، ودفعوا ثمن ذلك عشرة رجال .

لقد حدث ذلك، يا رياض، في بقعة محاطة بالعدو من كل جانب، واستطاع الرجال الثلاثون ان يبقوا وراء جدران قريتهم المهدمة يردون الهجمات المكررة ليلا نهارا، ولكنه هو، في ترشيحا، كان يشم بندقيته قريبة كانها في متناول يده، واعتقد انه لو انتظر يوما واحدا فقط لاستطاع استرجاعها، ولعاد، معها، الى شعب .

قلت لك ان الاحداث لا تنتظر، ففي اليوم التالي اكتسح العدو شعب مرة اخرى، ولم الرجال الذين فقدوا خمسة من مقاتليهم، الى التلال المجاورة حيث يستطيع ابن البلاد ان يصبح قطيع ماعز .

وقيل له، يومها، ان بندقية تشيكية جديدة شوهدت مع رجل عجوز في قرية صغيرة تقع على بعد ساعتين مشيا الى الشمال من ترشيحا، وقد ذهب الى هناك في الليل، وهناك قيل له، وهو يكاد يفقد وعيه، ان مقاتلي شعب الخمسة والعشرين قد انحدروا اليها تلك الليلة بالذات، وقاتلوا ببنادقهم وسكاكينهم حتى الصباح وانهم، مرة اخرى، استرجعوا قريتهم الممزقة وتمركزوا وراء الركام على مداخلها، وفقدوا ثلاثة رجال .

وراء اخبار البندقية، من باب الى باب، قيل له ان العجوز الذي شوهد يحملها قد مضى، في الليل، وتسلق الهضبة ذاهبا الى الجنوب، ربما، ليلتحق بالمقاتلين الذين بداوا يتجمعون الى الجنوب من ترشيحا بانتظار هجوم حاسم، ودون ان يضيع لحظة تردد واحدة كر عائدا الى ترشيحا، فرجال شعب الثابتون وراء استحكامات الدمار في قريتهم الصغيرة المعزولة ينتظرونه، ثم انها، لو يعلم، قريته التي لم يستطع، حين اجتيحت، ان يطلق في سبيلها رصاصة واحدة .

ولكن اخبار شعب سبقته الى ترشيحا، حيث لم يستطع ان يعرف اخبار البندقية : لقد فوجيء المقاتلون المنهوكون بهجوم ثقيل ماحق، وخسروا وهم يتراجعون ستة رجال، وحملوا معهم اربعة جرحى، واختفوا في التلال .

وغبنا كان هو على حافة الجنون سقط، كما لو انه بين نصلي مقص، اخبار بندقيته من جهة واخبار شعب من جهة اخرى، انحدر ما تبقى من مقاتلي تلك القرية الصغيرة، بعد ساعتين فقط من تراجعهم، واكتسحوا القرية مرة ثالثة مثل لمح البصر، ومرة ثالثة ايضا تمركزوا فيها، بعد ان الحقوا خسائر حقيقية بالعدو وغنموا مما خلفه سلاحا وزادا .

لست ادري من الذي قال له، في ترشيحا، انه لو استطاع العودة الى شعب بكفيه العاريتين لاستطاعوا هناك تزويده بالسلاح الذي يريد، ولست ادري ان كان هذا القول قد راقه اولا، ولكن الذي ادريه هو انه، تلك الظهيرة القائظة، شاهد بندقيته مجتاة على كتف رجل، قريبا من الساحة .

وكما تمسك بها يوم انتزعها باسنانه من قبضة القتيل شدها اليه وهي لما تزل معلقة على كتف الرجل، وحين استدار هذا الاخير، مذهولا، وشهد امامه ذلك الرجل الطويل الصلب ذي النظرات القاسية والوجه المنهمك اكتشف، اغلب الظن، انه على ابواب عراك فثنى كوعه حول حزام البندقية ومد ذراعه الاخرى للحصول دونه ودون العراك .

اما هو فقد كان غير قادر على الكلام، قيل لي انه كان يبكي، وكان يرتجف كالمحموم، لقد مضت شفتاه الجافتان تتمتمان كلاما ليس بالوسع فهمه، وامامه كان الرجل الاخر بلحيته الدبقة وعينيه الفاترتين قد عقد العزم على المضي بالعراك الى احدى نهاياته .

— هذه مرتينتي !

قالها بعد جهد لا يصدق، بصوت مبحوح محشرج، وظلت عيناه تحدقان الى الرجل العجوز كانهما تنتظران الاعتراف، الا ان العجوز الصعب صرخ بوجهه :

— مرتينتك ايها النصاب ؟ لقد دفعت ثمنها من حلالي قبل يومين فقط .

وسالت الدماء في وجهه، فقد كان مستحيلا، بعد، ان يتكلم، وجاءه الجواب :

— من حلالي ! اشتريتها امام شهود من ضابط باعها لي، وهو بعده الى الشمال، بملء جيبه .

وارتخت قبضته عن جسد البندقية، الا انه لم يتركها تماما، وبدا انه، في لحظة واحدة، سيتهاوى، ولكنه بذل مزيدا من الجهد وهمس :

— اريدها لاعود الى شعب .

— شعب ؟ لقد احتلها اليهود مرة اخرى قبل قليل .

ترك البندقية، فضمها العجوز الى صدره بقوة وتراجع خطوتين، وحين اطمأن تماما الى انه لن يفقد سلاحه ساله :

— هل كانت هذه المرتينة لك ؟

وهز راسه، بائسا الى النهاية .

— ودفعت بها مثله ثمنها، مهر ابنتي الوحيدة، لقد رفضت كل عمري ان ازوجها لذلك العجوز النتن، ولكن ماذا تريدني ان افعل الان ؟ لقد دفع لي ثمنها، دفعتها، بعد ربع ساعة فقط، ثمنا لهذه الشبكة .

وبهدوء استدار، كشيء محطم، ومضى، كانت تلك هي اخر مرة شوهد بها في ترشيحا، وليس يدري احد الى اين ذهب، وعلى اي حال فانه، لو ذهب شمالا، لكان من المؤكد انه سمع، قبل ان تتيسر له مغادرة الحدود، ان رفاقه العشرة الذين تبقوا من مقاتلي شعب قد هبطوا التلال بعد يومين، وبسلاحهم اليسير استرجعوا تلك القرية الصغيرة المهدمة مرة رابعة .

لم اهتد بعد الى اسم العروس التي بيعت ثمنا للبندقية، ولم اعرف بعد ماذا فعل العجوز بتلك البندقية الجديدة وكذلك فانا لا اعرف كيف انتهت قصة شعب، وكيف انتهت اخبار اولئك الرجال الاربعين الذين ذابوا بالتدريج كما تذوب النار قطعة دهن .

اهو الرجل الوحيد الذي بقي من مقاتلي شعب ؟ ربما، لست ادري عن الواقع، ولكن يخيل الي ان هذا هو السبب الذي جعل منه رجلا غريبا يحمل احساسا ثقيلا بانه ما زال يبحث عن بندقية ضائعة ليلتحق بالرفاق الذين كانوا ينتظرونه في القرية المهدمة .

★★★

ولكن، يا عزيزي رياض، لماذا لا تفتش معي عن ذلك الرجل ؟ انه رجل طويل جدا، صلب جدا، لا اعرف اسمه، ولكنه يلبس بدلة خاكية قديمة، ويبدو كانه محاط برداء مضيء، ويلوح لاول وهلة، حين يستوقفك ليسالك : هل رايت العروس ؟ يلوح كانه مجنون .

ابحث معي عنه، حيث انت، فلدي اخبار جديدة عن « العروس » .